

إصدارات جديدة :

## مجلة الأدب الإسلامي

تصدر عن  
رابطة الأدب الإسلامي العالمية

بإشراف : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي .  
و برئاسة تحرير : سعادة الدكتور الأستاذ عبد القدوس أبو صالح .  
صدر العدد الثالث عشر للمجلد الرابع في حلة قشبية جميلة ،  
و محتويات أديّة محكمة ، و بشكل جذاب .

و العناوين البارزة التي تحملها واجهة الغلاف :

- ◆ تاريخ الأدب العربي ، للرافعي .
- ◆ التجربة اللغوية في شعر محمد علي الرباوي .
- ◆ نحو أدب خليجي متميز .
- ◆ القيم و النظرية الأدبية .
- ◆ الصورة الشعرية عند عدنان النحوي .

قيمة الاشتراكات السنوية :

/ ٨ ريالات سعودية أو ما يعادلها في الدول العربية .

/ ٥٠ جنياً استرلينياً أو ما يعادلها في الدول الأوربية .

العنوان : مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ص ب ٥٥٤٤٦

الرياض - ١١٥٣٤

قام السيد شامد حسين بالطبع في مطبعة باريك أوفست لكتاؤ  
الإعطي

# البحث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعية

## في هذا العدد

- ★ اليهودية العالمية و أحلامها البعيدة .
- ★ مهمة العقل الحقيقية .
- ★ مؤتمر العلماء المسلمين للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية .
- ★ مراحل الخلق الإنساني في ضوء الكتاب و السنة .
- ★ الحسبة ، و دورها في بناء المجتمع الإسلامي .
- ★ الله يتجلى في عالم النبات .
- ★ محمود محمد شاكر شيخ المحققين من علماء الإسلام .
- ★ صورتان متضادتان .
- ★ الندوة الرابعة عشرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

العدد العاشر

الثاني والأربعون

شعبان ١٤١٨ هـ

نوفمبر ١٩٩٧ م

مؤسسة  
والصحافة

ندوة العلماء ص ب ١٠٠٠٠ لكتاؤ الندوة



## الاشتراكات السنوية :

★ في الهند : مائة و خمسون (١٥٠) روية :

★ ثمن النسخة (١٥) روية :  
★ في العالم العربي وفي جميع دول العالم .

٣٠ / دولاراً بالبريد السطحي .  
٣٦ / دولاراً بالبريد الجوي .

## عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم " البعث الإسلامي " ،  
( ALBAAS-EL-ISLAMI )

و ذلك بالعنوان التالي :

مكتب البعث الإسلامي .

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ ( الهند )

ALBAAS - EL - ISLAMI  
C/o NADWATUL-ULAMA.  
P. O. Box 93, LUCKNOW.  
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها .

## حضرات أخواتنا القراء

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته  
و بعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا  
التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في  
خدمة العقيدة و الفكر و في مجال البعث الإسلامي ،  
بطريق مجلة " البعث الإسلامي " التي تجتاز  
الآن عامها الثاني و الأربعين ، راجياً  
من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم و بروح  
من الاستقامة و الصمود ، و الثبات على هذه  
الجهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة  
تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم في  
كل مكان نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .  
و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن  
ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها  
و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن  
تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق  
و الطباعة و أجور العمال ، فترجوا أن يتكرم  
كل أخ كريم يبذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة  
و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا  
في أداء بعض الواجب الذي تتحمله الآن ،  
و يسمح لنا بزيادة قليلة في قيمة الاشتراكات .  
و التحديات تتجدد كل يوم ، و هي تنذر  
بشر مستطير ، فترجوا أن تتعاونوا معنا على كل  
جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرتنا .  
و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنشأها :

تفريد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسنبي - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م



\*\*\*\*\*

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P. o. Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

٤٨٩٣  
١٢٢١٩٥

١٢٢

العدد العاشر

المجلد الثاني والأربعون

رجب - شعبان ١٤١٨ هـ

نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٧ م

"فكرة ندوة العلماء"

تقوم في مجال الدفاع عن الإسلام ،

ومواجهة تحديات العصر ،

على الإرشاد الرباني

و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة

وفي أسلوب الدعوة إلى الله ، و عرض محاسن الإسلام

واقناع العقول ، على الوصية الحكيمية الماثورة :

" كلّموا الناس على قدر عقولهم ،

أ تريدون أن يكذب الله ورسوله "

وفيما اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء ،

على التحقيق والتطبيق وإحسان الظن بهم .

والتعاضد المعز لهم وترجيح ما هو أوفق بالكتاب والسنة

وأقرب إلى جمع الشمل ، وأبعد عن الفرقة والتنافر ،

وأقرب إلى مصلحة الإسلام الاجتماعية .

وبالجملة فهي أقرب

إلى مدرسة حكيم الإسلام الشيخ عبد الرحيم

المعروف بولي الله الدهلوي ، المتوفى ١١٧٦ هـ ،

العلمية والفكرية والكلامية والفقهية

وبذلك فندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة ،

أكثر من مركز تعليمي يقتصر على تعليم الكتب

أو العلوم واللغات

(أبو الحسن علي الحسنبي الفندوي)

في "منهج ندوة العلماء"

**\*\* الافتتاحية :**

- مؤتمر العلماء المسلمين للنظر  
في قضايا الدعوة الإسلامية  
سعيد الأعظمي الندوي

**\*\* التوجيه الإسلامي :**

- اليهودية العالمية وأحلامها البعيدة |  
سماحة العلامة الشيخ  
السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي
- مهمة العقل الحقيقية  
الدكتور محمد بن سعد الشويعر

**\*\* الدعوة الإسلامية :**

- مراحل الخلق الإنساني في ضوء الكتاب والسنة  
والعلم الجديد
- الدكتور إحسان الله خان الندوي
- الحسبة ، ودورها في بناء المجتمع الإنساني  
الأخ الأستاذ محمد رحمة الله الندوي

**\*\* دراسات وأبحاث :**

- دراسة الكتب السماوية والعلامة حميد الدين ٣٩  
الأستاذ محمد أفضل الإصلاحية
- الله يتحلى في عالم النبات الباقات تشهد .. ٤٨  
فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي

**\*\* أدب وأسلوب :**

- عناصر الأسلوب القرآني ومقوماته  
الدكتور عبد الماجد الكشميري الندوي

- ٧٢ • العربية الماثرة بالأردية  
الأستاذ شهيد الله فضل الباري
- ٨٤ • أمان (شعر)  
الشاعر الإسلامي : حيدر الغدير

**\*\* رجل فقدناه :**

- شيخ المحققين من علماء الإسلام  
محمود محمد شاكر
- ٨٥ [مع الشكر لمجلة "المجتمع" الكويتية الغراء]

**\*\* صور وأوضاع :**

- صورتان متضادتان  
الأستاذ واضح رشيد الندوي

**\*\* أخبار علمية وثقافية :**

**\*\* إصدارات جديدة :**

- ٩٧ • حياة الإمام البخاري
- ٩٨ • وجه جديد للسلفية
- ٩٨ • القرآن ! وأهل الكتاب والمسلمون
- ندوة علمية حول أدب الصحوة الإسلامية  
في مدينة بتنه بهار (الهند)
- ٩٩ • تصحيح لخطأ مطبعي
- ١٠٠ • قلم التحرير (س.أ.)

٢٨٩٢  
١٢٢١٩٥  
٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الافتتاحية :**

**مؤتمر العلماء المسلمين**

**للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية ،**

**ندوة العلماء تتولى عقد هذا المؤتمر في الفترة**

**ما بين ١٢-١٣/ رجب ١٤١٨ هـ (الموافق ١٢-١٣/ نوفمبر عام ١٩٩٧م)**

سبق أن تحدثنا حول شبكات الدسائس والمؤامرات التي تحوكمها اليهودية العالمية والحركات الهدامة ضد الإسلام والمسلمين ، وتحاول أن تضع حداً على واقع المد الإسلامي بأساليب متنوعة من القمع والإرهاب ، وتحول دون الصحوة الإسلامية التي تحرق الحواجز والأبعاد ، وتخطب العقول الخائرة وتلامس أوتار النفوس القلقة ، وتوفر لها الهدوء وتنقذها من متاعب الحضارات المادية ، من هذا المنطلق يواجه المسلمون اليوم تحديات سافرة على مستوى الدول الكبرى والسياسة العالمية الغربية ، وهي التي تولت إعداد الجبهات الداخلية المتمثلة في صورة الحركات الهدامة التي تتزياً بالزني الإسلامي ، وتوهم الناس بأنها لا تعمل إلا للإسلام ، ولكنها في الواقع تنال من قوة الإسلام وتضرب على جذور الدعوة الإسلامية ، وتدعو الناس إلى دين جديد لا علاقة له بالدين الإسلامي البتة ، بل الواقع أنها معاول هدم للدين الحقيقي ، وحرب على رسالة النبي ﷺ الذي ختم الله به النبوة وأرسله رحمة للعالمين .

من هنالك كان من واجب الدعاة وعلماء الإسلام أن يقوموا بمسئوليتهم نحو فضح الدعوات الباطلة ، وإسقاط معالم الهدم والتخريب ، ودحض دعاويها الكاذبة وأباطيلها المزخرفة التي اخترعتها لخدمة المصالح الشخصية والانطلاق الحر نحو اشباع الشهوات وإرضاء السادة من أهل الحقد والعداء ضد الإسلام والأمة الإسلامية ، وقد أحسن المسئولون عن ندوة العلماء في الهند ، وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، رئيس ندوة العلماء العام ، بالحاجة الشديدة إلى دعوة العلماء المسلمين لدراسة الموضوع والنظر في القضايا المعاصرة للدعوة الإسلامية من خلال اجتماعهم في هذا المؤتمر الإسلامي الذي سيضم نخبة من أولى العلم والرأي والدعوة والفتيا ، والدين لهم مكانة عالية مرموقة في مجال الشريعة الإسلامية ، وهم معروفون بذلك على المستوى العالمي .

وعلى ذلك فقد وُجِهت الدعوة للحضور في هذا الاجتماع العلمي والدعوي إلى شخصيات كبيرة ذوات المكانة الممتازة في العلم والدين ، والقول الفصل في أمور الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وإلى أصحاب الاهتمامات الدعوية والفكرية من العاملين في حقل الدعوة والفكر الإسلامي ، والمطلعين على ما يدور في العالم الحديث من نشاطات مكثفة وجهود ضخمة لزراعة عقيدة المسلم وإيمانه ، وإضعاف الثقة بخلود رسالة الإسلام وشمولها ، ومعلوم أن أعداء الإسلام قد نجحوا في كسب عملاء لهم ممن يتسترزون وراء الزي الإسلامي ، ويعملون من داخل الستار لهدم الدين والأخلاق ، وتزييف أحكام الشريعة ، وهم يتقاضون مقابل ذلك أجوراً من الأموال والمناصب ، ويتلقون دعوة معسولة لمستقبل مادي لامع ، وذلك هو الحافز الأساسي الذي يدفعهم إلى محاربة الدين باسم الدين نفسه ، عبر الحركات والجمعيات ووسائل

## الاعلام وشبكات "الانترنت"

جاء في رسالة الدعوة التي وُجِهت إلى العلماء المسلمين للمشاركة في برامج هذا المؤتمر المزمع عقده في وقت قريب :

"حضرة الأخ الكريم حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ! فنظراً إلى ما قامت به الدعوات الهدامة من نشاط مكثف ضد الدين الإسلامي الصحيح ، ونشر عقائدها المنحرفة كالكاديانية ومذاهب منحرفة أخرى ، أردنا أن نعقد مؤتمراً للبحث فيها ، ووضع خطط مؤثرة لمقاومتها ودحضها ، وبناء على ما عرفناه من محبتكم للدين الحق ، وسعيكم للذب عنه وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة ودعمها ونشرها ، نرجو منكم التعاون معنا في هذا العمل المهم بحضوركم في هذا الاجتماع الذي سوف يعقد إن شاء الله تعالى في ندوة العلماء في ١٢-١٣/ رجب عام ١٤١٨ هـ - الموافق ١٢-١٣/ نوفمبر عام ١٩٩٧ م .

ونرجو منكم أن تتكرموا - إذا تيسر لكم - بتزويدنا بمعلومات مهمة وجديدة عن نشاطات هذه الدعوات المنحرفة الهدامة في منطقتكم التي تعرفون عنها ، أكثر من طبعاً ، وبصورة خاصة عن الكاديانية التي قد زادت من نشاطاتها في العالم كله ، متمردة على عقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد ﷺ ، حتى نستفيد من هذه المعلومات في جلسات المؤتمر .

نرجو أن تصل إلينا هذه المعلومات في أقرب وقت ، وقبل موعد المؤتمر بنصف شهر ، ونرجو إفادتنا بقصد حضوركم في المؤتمر شخصياً أو علمياً ، وتقوم ندوة العلماء بتهيئة إقامتكم وبواجب ضيافتكم أثناء المؤتمر ، وترحب بكل ما تزودونه من معلومات لإثراء هذا المؤتمر ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وتقبلوا لائق تحياتنا وتمنياتنا

للعلم

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

رئيس ندوة العلماء العام ، لكناؤ (الهند)

بهذه الكلمات الرقيقة التي تعبر عن عواطف جريحة صادرة من قلب متحرق لما يواجهه دين الله الأخير ورسالة النبي ﷺ الأخيرة من مؤامرات وتحديات عنيفة ، وُجِهت الدعوة للحضور في هذا المؤتمر المهم الذي سيكشف القناع عن مزيد الأخطار والتحديات التي تُكشَفُ مخاربة العقيدة الإسلامية ورفض الحقائق الناصعة لحنم النبوة وكمال الدين ، وتامم النعمة وخلود الرسالة ، والتي تكذب البشارة القرآنية التي جاءت في قول الله تعالى في سورة المائدة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم \* وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

أما محاور الموضوع الذي يتبناه المؤتمر فهي تتلخص فيما يأتي :

- النظر في المذاهب الدينية المنحرفة وجهودها المتزايدة اليوم .
- النظر في جهود النحلة القاديانية المستورة منها والظاهرة ، ومدى تأثيرها على الغافلين من المسلمين ، والبحث في طرق صدتها .
- النظر في التخلف الشائن للمسلمين في المجالين العلمي والديني ، والبحث في الحل المناسب لتدارك هذا التخلف .
- النظر في قضايا المسلمين الدينية والثقافية في البلدان غير الإسلامية والبحث في طرق معالجتها النافعة .

• البحث في المنهج الأفضل للأعمال الدعوية والتربوية في الأوضاع الراهنة .  
 نالت الدعوة لعقد هذا المؤتمر ، استجابة مخلصنة قوية من جميع الجهات العلمية والدعوية والفكرية ، فلعل الله سبحانه يوفق المؤتمرين للتوصل إلى نتائج إيجابية واتخاذ قرارات عملية حاسمة تحفز على العمل الجاد في هذا المجال الدعوي المهم ، وتكون باعثة على تأكيد مفهوم الشريعة الإسلامية الصحيح ، وشرح العقيدة الإيمانية السليمة الصافية وإبراز خصائص الحضارة الإسلامية

وصفاتها في حياة المسلم الفردية والجماعية ، وتمهد الطريق نحو تزييف العقائد الفاسدة وإبطال الدعوات المنحرفة وبيان خطورها وأضرارها على العالم البشري والمجتمعات الإنسانية كلها ، وذلك في ظروف قاسية تواجه الدعوة الإسلامية من الجهات المناوئة ، وزعماء الحركات الباطلة والفئات الضالة ، ولا يخفى ما للقيادات العالمية المادية والمعسكرات الدولية من دور خطير في فتح جبهات معادية بواسطة الحركات المشبوهة التي طالما يتزعمها الرجال المغرضون ، وإن كانوا يزعمون أنهم مسلمون .

هنا تأتي المرحلة الحاسمة للتفكير ، وتتطلب منا أن ندرس هذا الواقع الخطير بشئ من الجدية والاهتمام لكي ندرك أبعاده ونتبصر جذوره اللاهية إلى الأعماق ، ونعرف أن ما نواجهه من أعدائنا ليس مجرد صدفة ، إنما هو تدبير من الله العليم الحكيم ، ذاك أن العدو إذا كان باذلاً اهتمامه الكبير بجمع العدة والعتاد مكباً على الإعدادات من كل نوع ، وكان الجانب الثاني في غفلة عن كل مقاومة أو ردّ عدوان ، أو دفاع عن النفس والنفيس ، فالنتيجة معلومة ، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الوضع بالإعداد الكامل والتأهب التام بالقوة والرباط : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل \* ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم \* لا تعلمونهم \* الله يعلمهم ﴾ .

إن ندوة العلماء برسالتها الدعوية والفكرية وأهدافها الغالية أولى من غيرها بعقد مثل هذه المؤتمرات وإتاحة الفرص لاجتماع العلماء والدعاة المسلمين على صعيد النظر في قضايا الأمة الإسلامية ومشكلات الدعوة والتحديات العلمية والفكرية التي تواجهها الأمة على اختلاف فئاتها وأقطارها ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة \* ادفع بالتي هي أحسن ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .  
 سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

## اليهودية العالمية وأحلامها البعيدة !

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

إن كل ذلك يحتم  
أن اليهود الذين  
يتحدون هذه الحقائق ،  
وهذه الطباع ، وهذه

السنن والقوانين ، والغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون ، وأوجد لها هذا الجيل البشري ، وما يحبه من الخير والصلاح ، ومن العمران والبقاء ، لا يتمتعون بفترة طويلة من السيادة والسيطرة والغلبة والقوة ، ولا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم وأحلامهم ، ومشاريعهم ومخططاتهم المادمة المدمرة . الأناية السلبية ، ولو أيدتهم ألف حكومات ، وكانت من ورائهم القوى الكبرى كلها في العالم ، ولو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التي اكتشفها المكتشفون في هذا العصر ، والتي برع فيها اليهود براعة ممتازة ( ١ ) وسيقتصر

(١) أخبرت الأحاديث النبوية التي كادت تبلغ حد التواتر بأن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الضرورة في القوة ، والسيطرة في فلسطين ، وينهض فيهم الدجال الأكبر الذي يتزعم هذه القوة ويتصرف في الأشياء ، وأنهم سيجمعون في مكان واحد ، ثم يتسلط عليهم المسلمون ، ويضعون فيهم السيف ويعاديهم كل شيء حتى ينم عنهم الحجر ، وبقي علماء السنة أكثر من ثلاثة عشر قرناً يتدارسون هذه الأحاديث في كتب الفتن والملاحم وأبواب أشراف الساعة في كتب الحديث ، هي من أبعد الأشياء عن الخيال في عالم الأسباب والوقائع ، فاليهود - إلى هذه المدة - أذلاء مشتتون في الآفاق ، حتى بدأت هذه النبوة تتحقق في منتصف هذا القرن المسيحي الحاضر ، فنشأت وطن اليهود وقامت إسرائيل ، وحدث ما حدث ، وستحقق أواخر هذه النبوة كما تحققت أوائلها ، وهي من المعجزات النبوية التي تجلّى بعضها وتبين كالصبح ، وستجلّى الباقي ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

البعث الإسلامي

اليهودية العالمية وأحلامها البعيدة !

أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة ، التي تعطف على الإنسانية كلها ، وتساوي بين الشعوب والأمم ، وتنتصر للحق أينما كان ، وتحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون للإنسانية وبالإنسانية ، ولا يريدون علواً في الأرض ، ولا فساداً .

وقد كان للدهاء والمكر والخديعة والذكاء الذي لا يقوم على احترام الإنسانية ، ولا يقف عند الحدود العقلية والخلقية ، والذي يتجه دائماً إلى الأناية والسلبية انتصارات بهرت العقول والألباب ، وغشت على العيون والأبصار ، وشككت في التاريخ البشري ، وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين ، وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات وصولات في التاريخ حتى تحركت الجبال الراسيات ، واضطربت رجال الفلاسفات وعلماء الديانات ، وقد صور القرآن يعجاز هذه الساعات الدقيقة العvisية ، وما ينتاب العقول والقلوب في ذلك الوقت من حيرة واضطراب ، وشك وارتياب ، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن : ﴿ حتى إذا استنسى الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا \* فنجى من نشاء \* ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ١١٠] ، وقوله : ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنوننا \* هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ [سورة الأحزاب ، الآيتان : ١٠-١١] .

وقد عالج القرآن هذه النفسية الإنسانية التي تخضع دائماً للغلبة والقوة مهما كانت عارضة مؤقتة ، ومهما كانت سخيصة هائلة ، فقال : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد \* متاع قليل \* ثم مأواهم جهنم \* وبئس المهاد ﴾ [سورة آل عمران ، الآيتان : ١٩٦-١٩٧] ، وقال : ﴿ ما يجادل في آيات

الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد ﴿ [سورة المؤمن ، الآية : ٤] وعالج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ، ومكر محكم ، أو مؤامرة ناجحة ، فذكر مراراً وتكراراً ، أن مصيره إلى الانهيار والافتضاح ، والخيبة والإخفاق ، وأنه كنسج العنكبوت : ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية : ٤١] ، وقرر أن الخير لا ينتج من الشر ، وما كان أساسه ضعيفاً متداعياً للسقوط ، ولم يكن له أصل ثابت ولا جذور عميقة - في الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة - يكون البناء الذي يقوم عليه مستعداً للانهيار في كل لحظة ، فقال : ﴿ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم \* والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٠٩] ، وقال : ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [سورة ابراهيم الآية : ٢٦] ، وقال على لسان نبي الله موسى مخاطباً لجماعة السحرة : ﴿ قال موسى : ما جئتم به السحر \* إن الله سيبطله \* إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٨١] ، وقال يتحدث عن المكر والدهاء في مختلف الأزمنة والأمكنة كقانون عام خالد : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله \* فهل ينظرون إلا سنة الأولين \* فلن تجد لسنة الله تبديلاً \* ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٤٣] ، وقال : ﴿ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد \* ومكر أولئك هو يبور ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ١٠] وأعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والشعوب والأوطان ، ومظاهر الفوز والخسران ، والسعادة والحزنان ، فقال غير مبال بما يعتقد به البشر من نجاح الحكام والملوك ، والطامحين المغامرين في عصرهم : ﴿ فاصبر \* إن العاقبة للمتقين ﴾ [سورة هود ، الآية : ٤٩] ، وقال : ﴿ وقل جاء الحق

وزهق الباطل \* إن الباطل كان زهوقاً ﴾ . [سورة الاسراء ، الآية : ٨١] .

بالعكس من ذلك العرب رغم جميع العلل ومواضع الضعف ، والطوارئ التي تحدثنا عنها في مقالاتنا ومحاضراتنا السابقة في صراحة ليست فوقها صراحة ، ما زالوا ولا يزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة ورسالة عالمية آفاقية ، والدين الإسلامي الذي أكرمهم الله بالسبق فيه والدعوة إليه ، حق مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، والعناصر والأجناس ، والأسر والبيوتات ، والبلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بنى لاوى من اليهود أو البراهمة من الهنود ، لا يتميز فيها شعب عن شعب ، ولا نسل عن نسل ، ليس الاعتماد فيها على العرق والدم ، بل الاعتماد فيها على الحرص والشوق ، وحسن التلقى وزيادة التقدير ، والتفوق في الجهاد والاجتهاد ، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : "لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس" (١) وقد دان العرب في جميع عصورهم لكل من برز في العلوم الدينية وتفوق فيها ، وأقروا لهم بالأمامة والزعامة فيها ، وخلعوا عليهم من النعوت والألقاب ما لم يخلعوها على كثير ممن برع في هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الإمام محمد بن إسماعيل (ابن ابراهيم بن مغيرة بن بردزبه) الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح (م ٢٥٦ م) بأمر المؤمنين في الحديث ، وقالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، ولقبوا الإمام ابا المعالي عبد الملك الجويني النيسابوري (م ٤٧٨ هـ) بأمام الحرمين ، ولقبوا الإمام ابا حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (م ٥٠٥ هـ) بحجة الإسلام ،

(١) مسند إمام أحمد : ج/٢ ، ص/٢٩٦ .

وقد كان الموالي وأبناء العجم هم زعماء العلم ومراجع المسلمين في جميع عواصم المملكة الإسلامية الواسعة في آخر القرن الأول الهجري ، قد انتهت إليهم رئاسة العلم والفتيا ، والفقه والحديث ، وهي قصة معروفة في جميع كتب الطبقات والسير والتراجم ، وتاريخ الحضارة الإسلامية ، واطرد ذلك في العصور الإسلامية الذهبية التي ساد فيها العرب حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي (م ٨٠٨ هـ) : "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر ، مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي ... فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، والفارسي من بعده ، والزجاج من بعدهما : وكلهم عجم في أنسابهم ، وكذا حملة الحديث وعلماء أصول الفقه ، وحملة علم الكلام وأكثر المفسرين" (١) .

والعرب بفطرتهم اليت فطرهم الله عليها من أقرب الأمم والشعوب إلى قبول مبدء المساواة الإنسانية واحترام النوع البشري ، وأنشطها في تطبيق هذا المبدء والعمل به ، قد حملوه معهم في فتوحهم الواسعة ، وزحفهم المبارك ، الذي فتح للعالم آفاقاً جديدة في العلم والمدنية ، والفضيلة والتقوى ، حتى أحبتهم الشعوب المفتوحة - وقد عرفت في التجربة وبداهة العقل ببغض الفاتحين ، وغلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركى السند والملتان في شبه القارة الهندية في القرن الأول الإسلامي ، فصنعت محمد بن القاسم الثقفي ، الفاتح العربي ، تماثيل ، أضافتها إلى تماثيلها القديمة حياً وإجلالاً ، وكانت المعاملة الرقيقة الغربية التي عامل بها الخليفة ، عمر بن عبد العزيز أهل سمرقند

(١) مقدمة ابن خلدون : المطبعة البهية المصرية : ص/٤٠١ .

المفتوحين ، سبباً لحب الفاتحين ، وانتشار الإسلام بسرعة غريبة في هذه البلاد (١) بخلاف البلاد التي فتحها غير العرب - قاطبة في الإسلام ، واعتنقت الحضارة الإسلامية ، وتكلمت باللغة العربية ، وفضلت الفاتحين الأجانب وما حملوه معهم من أخلاق وعادات ، وشرائع وقوانين ، ولغات ولهجات على ما توارثتها من أحقاب طويلة ، وأجيال متواصلة ، وتكون منها هذا العالم العربي الذي نتحدث عنه ، ولا تزال كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب التي قالها لأحد قادته الكبار ، يتردد صداها في الآذان والقلوب ، وفي صفحات التاريخ : "من متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" .

وقد كانوا في جاهليتهم وفي إسلامهم من أبعد الأمم بحكم الفطرة والنشأة والمثل العليا التي كانوا يدينون بها ، عن طبيعة المؤامرات ، والتكتم والسرية ، والدسيسة والنفاق ، فكانوا أعداءً جهاراً وعلانيةً ، وكانوا أصدقاءً جهاراً وعلانيةً ، وكانوا إذا حاربوا حاربوا في الميدان ، وإذا صالحوا صالحوا عن إعلان ، دل على ذلك شعرهم وأدبهم ، ووصاياهم وحكمهم ، وأمثالهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام ، ولم يكن النفاق من طبيعتهم الأصلية ، ولذلك يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق في مكة ، لأنها بيئة عربية خالصة ،

(١) جاء في فتوح البلدان للبلاذري : ص/٤٢٨ : "قال أبو عبيدة وغيره لما استخلف عمر ابن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي فحكمم بإخراج المسلمين على أن يتابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم وكان ذلك بعد ما مضى على فتح سمرقند سبع سنوات .

لا تشوبها شوائب اليهودية والعناصر الدخيلة ، وعلى أن جميع الآيات التي جاء فيها ذكر النفاق والمنافقين مدنية (١) ، وقد استدل لذلك بعض المفسرين والأصوليين بقوله تعالى في سورة البراءة : ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الْأَصُولِيِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبِرَاءَةِ : ﴿ [سورة البراءة ، الآية : ١٠١] فلا خطر على العالم وعلى الرقعة التي يحكمها العرب ، وعلى الشعوب والأمم التي يقودونها ، وعلى المدنيات والمؤسسات التي يوجهونها ، وعلى السياسة التي يلعبون فيها الدور الحاسم ، من مؤامرة سرية ، ومن دسائس خفية ، ومن النفاق في الأخلاق ، ومن الإفساد بين الطوائف والطبقات ، ومن خلق المشاكل والأزمات ، لمصلحة قومية وأنانية فردية أو جماعية ، إنما هي قيادة واضحة حاسمة ، وسياسة ظاهرها وباطنها سواء ، وحكم يعدل مع القريب والبعيد ، والشرقي والغربي ، والعجمي والعربي .

أما هذه القومية المتطرفة والعصبية الجاهلية ، التي أبتليت بها بعض الجماعات العربية ، وتزعمتها بعض القيادات في العهد الأخير لأسباب ليس هذا محل شرحها ، فهي طارئة دخيلة ، لا تنسجم مع الطبيعة العربية الإسلامية الأصيلة ، وهي تثور عليها في أول فرصة ، وتعود إلى أصلتها القديمة ، وإلى إيمانها الذي امتزج بلحمها ودمها ، وتغلغل في أحشائها ، بقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٣] وبقول الرسول الأعظم ﷺ : "الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" (٢) .

(١) سبق لكاتب هذه السطور ، مقال في هذا الموضوع نشرته صحيفة : "الفتح" الغراء لصاحبها محب الدين الخطيب سنة ٣٢ أو ٣٣ م .  
(٢) رواه الزمزمي وغيره عن النبي ﷺ .

وإذا كان الإسلام رسالة الله الأخيرة الخالدة التي تكفل الله ببقائها وخلودها ، وإذا كان القرآن هو الكتاب السماوي الأخير الخالد الذي ضمن الله ببقائه وحفظه ، ولا بقاء للإسلام ولا للمسلمين (كأمة ذات عقيدة وشخصية وقانون وشريعة ، ودعوة ورسالة) بغيره ، وكل ذلك مكفول مضمون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٩] كان بقاء العرب مضموناً مكفولاً كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية ولا بقاء اللغة العربية بغير أهلها ، فإن كل ذلك لا يقوم في الفضاء ، وليس من المعقول ولا من اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب الخالد العالمي لغزاً لا يفهمه أحد ، أو محتوماً لا يستطيع أحد أن يفض هذا الحتم ويستفيد به ، أو يبقى أثراً تاريخياً في المتاحف والمستودعات ، قد اندرست لغته كما اندرست الهيروغليزية أو الفينيقية أو الحيرية ، وتعالى الله عن أن يسمى ذلك حفظاً وصيانةً ، وفضلاً وكرامةً ، ويمن بها على الأمة وعلى الإنسانية التي لا تزال تستمد منه القوة والحيوية ، وتسير في ضوئه في كل عصر وجيل ، وليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين ، أذلاء صاغرين ، ويفقدون كل حول وطول ، وكل وسيلة لتوجيه البشرية وقيادة الإنسانية ، وتصبح هذه المنطقة التي أشرقت منها شمس الإسلام ، وانطلقت منها موجة المد الإسلامي في الآفاق ، وارتبط بها تاريخ الإسلام والمسلمين ، هذا الارتباط الوثيق الذي لا مثيل له في تاريخ الديانات ، وفيها هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، ومراح الأرواح ، ومهوى الأفئدة ، ومدينة الرسول التي هي مهبط الوحي ، وظهر الإسلام ، ومصنع التاريخ ، فلا بقاء للإسلام والمسلمين - ولو قامت لهم ألف دولة وارتفع لهم ألف علم - ولا شرف لهم ولا كرامة ، ولا هدوء لهم ولا راحة ، إذا ذل العرب ، وفقدوا

هذه المنطقة التي فيها مقدساتهم ، وهي معقل الإسلام ، ومصدره ومأرضه ، ولذلك جاء في بعض كلمات ماثورة : "إذا ذل العرب ذل الإسلام" .  
ولذلك كانت هذه الأوضاع غير الطبيعية ، غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية والعقل المستقيم ، والمنطق السليم ، وطبائع الأشياء ، والحقائق الراهنة ، والظروف المحيطة ، والنصوص الدينية ، والوعود الإلهية ، والتاريخ والجغرافية ، والسياسة الحكيمة التي لم تفقد رشدها ولم تجن جنونها (١) ، وإذا بقيت مدة قصيرة ، فهي مدة طويلة بالنسبة إلى حكم الوضع وطبيعة الأشياء وبداهة العقل .

وبعد فإن انتصار الصهيونية في هذه الفترة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي الآن ، وتحقيق بعض أهدافها ومخططاتها في الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الإسلامية ، لم يكن انتصار رسالة على رسالة ، ولا انتصار أمة على أمة ، ولا انتصار دين على دين ، ولا انتصار حق على باطل ، فإن اليهود ليست لهم أي رسالة في هذا العصر ، ولم تكن هنالك معركة بين اليهود والأمة الإسلامية ، أو الشعوب العربية ، فإنه لم يسمح لهذه الأمة ولا لهذه الشعوب أن تخوض في هذه المعركة ، وتبرز جدارتها وكرامتها ، ولم يسمح للإسلام بالخوض في حرب حزيران ١٩٦٨م بل عزل عن الميدان ، وأقصي عن ساحة الحرب بتصميم وإرادة ، إن جل ما هنالك أنه انتصار أقدر قيادة على أخيب

(١) أما السياسة الخرقاء العمياء التي تتبعها أمريكا وروسيا إزاء العرب ، فهي سياسة تقليدية خالية من كل ذكاء وابتكار ، وجراءة خلقية أو حياء وإنسانية ، خاضعة للنفوذ اليهودي ، ومؤسسة على "السكرتارية" الغيبة ، والأوراق والملفات القديمة ، غير مبنية على الحقائق ، ومثل هذه السياسة والاتجاهات لا تنشأ إلا عندما يصيب الحكومات الهرم والشيخوخة ، ويدق أبوابها للزوال القريب .

قيادة ، وقد كان من سعادة اليهود أن تهيأت لهم قيادة بعد آلاف من السنين ، غسلت عنهم العار الذي رافقهم عبر القرون ، وفي رحلتهم الطويلة ، وصنعت لهم تاريخاً جديداً ، وكان من نكبة المسلمين والعرب أن ابتلوا - لأسباب شرحناها في الفصول الأولى من كتابنا : "ما قبل النكبة وما بعدها" - بقيادة جنت عليهم وعلى تاريخهم الجناية الكبيرة ، وورطتهم في مآزق لا متقدم فيه ولا متأخر .

ولكن قضية القيادة وأخطائها وجنباياتها مهما طالت ، فهي قضية سهلة يمكن أن تعالج ، أما قضية الرسالات ، وقضية جدارة الأمم وصلاحيتها للبقاء ، واستحقاقها للنصر ، قضية عسيرة معقدة ، فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ، ولا يسهل نفخ روح في جثة هامدة ، والأمة العربية الإسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ، ولا إلى دين جديد ، ولا إلى بعث وإحياء ، فإنها هي الأمة الزاخرة بالحيوية والقوة ، المستعدة للانتفاض في كل وقت ، أما القيادات فهي كأموج نهر دافق جار ، تأتي وتذهب ، وتغدو وتروح ، وترفع رأسها وتثبت وجودها ، وقد تغرق بعض السفن ، وتحطم بعض القوارب ، ولكنها تغيب في وجود النهر الخالد الكبير ، وتتوارى في هذا الخضم المائج ، والنهر ذلك النهر ، لا يفقد اسمه ولا وجوده ولا شخصيته .

وقد شهد التاريخ الإسلامي أمواجاً من هذا النوع ، ارتفعت حتى وصلت إلى عنان السماء ، ثم نامت في مهد هذا البحر اللجي وفي أعماقه ، فقامت حكومات وطويت حكومات ، وجاءت قيادات وذهبت قيادات ، والإسلام هو الإسلام ، والأمة هي الأمة ، والرسالة هي الرسالة ، والكتاب هو الكتاب ، والإيمان هو الإيمان .

وهكذا النكبات والوارث ، وحوادث التراجع والانتكاس تجارب طبيعية تمر بها الأمم الحية النامية ، الدافقة بالحياة ، ومحن تمحص بها وتصهر لتبلغ النضج والاكتمال ، وتتعود اليسر والعسر ، والسراء والضراء ، ولا تبطر عند الفتح ، ولا تئس عند الهزيمة : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ [سورة الحديد ، الآية : ٢٣] كالجسم الحي النامي الذي لا يعتمد على حيويته وقوة مقاومته ، حتى يمر بمراحل مختلفة من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، واختلاف الأجواء والمناخات ، وتنوع الفصول والطقوس ، فيحتمل كل ذلك ويتمرن عليه ، والعودة إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوي ، والانتصار مكفول لصاحب الرسالة الفاضلة ، المفيدة للبشرية ، والصفات الكريمة العائدة بالخير على الجميع ، وصدق الله العظيم : ﴿ قد خلّت من قبلكم سِنَّنٌ \* فسيروا في الأرض \* فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين \* هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين \* ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين \* إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله \* وتلك الأيام نداؤها بين الناس \* وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء \* والله لا يحب الظالمين \* وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [سورة آل عمران ، الآيات : ١٣٧-١٤١] .

وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

\* \* \*

### مهمة

## العقل الحقيقية

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويخ  
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية  
-الرياض-

قادنا الحديث عن المدرسة الفكرية ، وما دعت إليه ، إلى اعطاء لمحة عن ثلاثة أشياء ، الإرهاصات التي هيأت الجو لنشأة المدرسة

العقلية ، ألا وهو الجهل بأمور الدين ، وما تدعو إليه مصادر التشريع الإسلامي ، ثم متى نشأت المدرسة العقلية الأولى ، والمدرسة العقلية الثانية الحديثة ، ودوافع ذلك ، وما أفرزته هذه المدرسة من أمور انعكست على المجتمع الإسلامي في العقائد أولاً ، حيث نشأت الفرق المتأثرة بخلفيات الأمم الأخرى ، عقلياً وفكرياً ، وفي الوقت الحاضر - عصر النهضة الحديثة - جهد دعاة التقليد في بلبلة فكر الفرد المسلم ، وإدخاله متاهات تضعف قاعدة الإيمان في نفسه ، وتشككه في موروثاته الدينية والاجتماعية ، عقيدة وعملاً ، فزادت عليه المداخل التي فتحت ، بعد أن انبهر بما عند الآخرين ، وزهد فيما بين يديه من كنوز لم يقدر مكانتها .

فكان في البداية ولا يزال لهذا آثار ممتدة ، حيث سيطر الجانب الوحيد وهو الملقى المتفلسف فكراً موجهاً ، أما الجانب الآخر وهو المتلقى الذي لا سلاح عنده ، لفراغه العقلي وجهله ، فإنه لا يستطيع أن يدافع ، لأن فاقده الشئ لا يعطيه ، فعقله كالإناء الفارغ يتقبل كل ما يلقي فيه ، من خير وشر .. وهذا ما قصد إليه مفكرو الغرب ذور الأهداف الموجهة ، في تصدير فكرهم ، ورغبتهم السيطرة على ثلاثة محاور ، تخدم ما يرمى إليه الاستشراق في بلبلة الأفكار وطعنه في قضايا إسلامية ، والتبشير في رغبة تحويل المسلمين عن دينهم ، كما روى عن صموئيل زويمر في أحد المؤتمرات الموجهة ضد

المسلمين في حدود عام ١٩١٠م ، حيث جمع كل مشارك مرثياته وعصارة فكره عن الأسلوب المناسب لتحويل المسلمين عن دينهم ، فكان مما قيل في ذلك . لا نستطيع جذب المسلمين للنصرانية ما دام لديهم هذا - وأشار المتحدث إلى المصحف - وتجمعهم اللغة العربية لغة الدين ، وتربطهم الكعبة بعقيدة الصلاة والحج ، فهذه أمور تمثل وحدة الهدف والمصير ، فيجب نزع المصحف من صدورهم وإبعادهم عن فهم معانيه والاهتمام به ، وترغيبهم في لغات تنسيهم العربية ، وتخفيف مكانة الصلاة والحج من قلوبهم .

وبعد استعراض آراء الجميع انبرى زويمر المتوفى عام ١٩٣٥م وكانوا يسمونه المعلم للحديث فقال : كل ما ذكر من أمور لتحويل المسلمين للمسيحية قد جربناها ، وهي عديمة الجدوى ، وأثرها قليل ولا يشرف المسيحية أن يتحول مسلم عن دينه إلينا ، لأن هذا مما يثير حفيظة المسلمين والنصارى عليه ، حيث يبدأ الصراع الفكري ، والنقاش والمجادلة ، إذ لا شك أن فكرهم عند المتمكن أقوى من فكرنا .

ولذا فإن علينا أن نضع الفكر عند المسلمين بطرح الشبهات ، والرفع من مكانة وفكر من يوافقنا ويعجب بما عندنا منهم ، لنجعل العقول متهيئة لأخذ ما نطرح لها ، إعجاباً بما عندنا ، حتى ينبذوا بذلك موروثاتهم ، زهداً فيها ، وتشكياً في صحتها .

ولما سئل عن السبيل إلى ذلك ؟ قال : في نظري أن ذلك يتم بالتركيز على ثلاثة محاور ، وأن نبذل ما في وسعنا للسيطرة على عقول المسلمين ، ونستحوذ على تفكيرهم من خلالها ، قيل له : وما هي هذه المحاور ؟ قال : المناهج الدراسية ، والإعلام ، والبعثات الدراسية .

فبالمناهج الدراسية نسيطر على عقول الناشئة ، فنملؤها بما نريد عن تاريخنا ومفكرينا وقادتنا وجغرافيتنا ، وننسيهم أمجادهم وتاريخهم وما

يربطهم بدينهم ، بما نطرح في المناهج والكتب من معلومات وفكر ، فلا نجعل مجالاً لفكر الإسلام ، ومعلوماته أن تدخل ، لأننا سبقنا إلى تعبئة العقول بما يخدم مقاصدنا بعيدة المدى ، ذلك أن القاعدة التربوية والنفسية التي تقول : العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، هي التي يجب أن نسبق إليها .

وتستكمل هذه النقطة بالمحور الثالث : البعثات الدراسية ، التي تهتمنا كثيراً لنميز العقول بعد نضجها ، ونوجد ولاء تعليمياً ، ونرعى فيها المواهب التي نخدمنا ، فمن رأينا لديه الاستعداد والانقياد بطواعية وحماسة لما وجه إليه ، أخذنا بيده ورفعنا من قدره ، وخدمناه بالتقارير الجيدة ، والثناء عليه منذ بدء البعثة حتى يعود لبلده ليتسّم موقِعاً يخدم الفكر والتوجيه الذي قصدناه ، لأن من كان من تربيتنا ، لا بد أن يدين لفكرنا بالولاء والتشمر .

أما المحور الثاني الذي جعلناه الأخير : فهو الإعلام الموجه ، الذي نبث فيه ما يرسخ الشبهات ، ويخدم ما نقصده ، دون مهاجمة لدينهم وعقائدهم ، حتى لا نشير الحفائظ ، ومن ثم تتسع دائرة الحوار والمجادلة ، ولكي نراعى النفسيات ، ونبرز ما تفتق عنه العقل عندنا من فكر ومنطق ، في جميع المجالات ، وخاصة الماديات المحسوسة ، فإن المهم جذبهم عن قناعة للانبهار بالأشياء المحسوسة ، وما تفتق عنه العقل عندنا ، لأننا أيضاً حريصون على عقيدتنا مع علمنا ، فهذا أمكن للدخول رويداً رويداً بما نريده من معقول ، ولكي نقنعهم بواقعيتنا ، وتقبلنا الأمور بصدر رحب ، يجب أن نهاجم القديم عندنا ، وأثر الكنيسة في السيطرة على العقول ، وتحجيم الفكر ، وأنا لم نصل إلى نهضتنا العلمية والحضارية إلا بعد التخلص من تلك العقلية ، وتجديد الدين ، لينبعث لديهم إحساس بأن الدين الإسلامي ، والتمسك به : قرآناً وحديثاً .. هو سرّ من أسرار تخلف المسلمين ، في ميادين الحضارة ، وبذلك

يتحرك الشك لدى عقولهم وتتحرك ضمائرهم ضد دينهم بأنفسهم ، فيكون عدوهم من أنفسهم ، ويتحقق لنا بذلك ما نريد .

\* لكن لما كان هذا الأسلوب الذي دعا إليه زويمر ، وأقطاب الفكر الاستشراقي والتبشيري ، قد أحدث لديهم رد فعل ، حيث تمرد الناس على الكنيسة وتعاليمها ، لأن الفرد في مجتمعهم أو صلة تعليمه إلى تشغيل الفكر ، وإعماله فيما حوله ، ولأن الإنسان توجد لديه نزعة غريزية للتدين والولاء ، لأي شئ كان ، سواء كان حقاً أو باطلاً .

فإنهم قد وجدوا العقل قد قادهم إلى التشكيك في الديانة التي هم عليها: يهودية أو نصرانية ، بوذية أو غيرها ، لأن ما فيها من أوامر وتعليمات تصادمت مع نظرة العقل وفكره ، فقامت جهود من قياداتهم الكنسية وغيرها ممن ترتبط بسائر المعتقدات ، لكي تشدهم إلى ما هم عليه ، وعدم التخلي عن المعتقدات التي ورثوها عن آبائهم ، وأجدادهم ، وصدق الله إذ يقول عن موقف من مواقف الدار الآخرة : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٦٧] ويقول سبحانه عن التقليد في العبادة بالعبادة والفكر : ﴿ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ١٠٤] .

يقول أحد القساوسة الذي هداه الله للإسلام فاستقام بذلك قلبه ، وتبدل فكره وعمله ، معظم الناس يرثون الدين دون وعي ولا إدراك ، ومعظمنا لا يعرف من الدين سوى اسمه ، وما سطر في شهادة ميلاده : يهودي أو بوذي ، هندوسي أو مسيحي ، أو حتى عند بعض المسلمين ، ومع ذلك فإنه يتعصب لما سطر في شهادة ميلاده تعصب المستميت ، ولذا فإنه لا يكفي للإيمان الحقيقي وراثته العقيدة ، وتقليد الآباء والأسلاف ، والعمات والجدات ، ولو كانت العقيدة إرثاً وانصياعاً ، لما انتقل الناس من باطل إلى حق ، ومن

عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الخالق .

ويقول محمد مجدي مرجان في كتابه : المسيح : إنسان أم إله ؟ تحقيق عبد الرحمن دمشقي ، والمؤلف قبطني صادق بفكرة قضية التثليث في المسيحية ، عند التحاقه بمدرسة الثالوث شماسا ، في إحدى الكاتدرائيات لإعداده ، وتوجيهه ليكون داعياً للثالوث ، منافحاً في نشر طقوسه وتعاليمه ، حيث وجد نفسه في موقف التحكيم بين تيارين عظيمين ، كانا يتجادبانهما : التيار الأول : الإيمان بالله الثالوث بحكم الوراثة والتقليد .

التيار الثاني : الإيمان بالإسلام الداعي إلى إله واحد ، والذي فند هذا الثالوث وأظهر بطلانه ، وجعل من توحيد الله أحد أركانها . يقول : فأثرت عندئذ أتباع الحق ، على الاعتقاد بطريق الوراثة ، بعبقيرة لا تتقبلها الفطر السليمة ، ولا تستسيغها العقول الحكيمة .

[انظر كتابه الله واحد أم ثالوث : ص/٧]

ثم بعد أن أراد الله له الخير وأسلم يقول : لقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لعبقيرة الثالوث ، تارة حين كنت محسوباً عليهم في الجماعة المسيحية ، وتارة بعد انسلاخي عنها ، وكثير من هؤلاء أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم ، ويصدقوني الحديث ، فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس ، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم ، وموروث معتقداتهم .. وحيث تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة : أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون تمييز أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي ، تسليماً مطلقاً .. أي تسليماً أعمى ، فعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولاً في الثالوث المقدس ، ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد ، فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خير له أن يلغى عقله ، ولا يلغى عقائد الآباء ، وتراث الأجداد ، وتعاليم القسوس ، ثم يعلق هذا المسلم :

محمد مرجان في كتابه : المسيح إنسان أم إله على هذا القول : مردفاً :  
والحقيقة أن هذا الذي يدعو إليه آباؤنا الكهنة - رجال الكنيسة - ويغنون  
قسرنا عليه شيء عجيب ، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغى عقله ، الذي لا  
يعيش إلا بهديه ، والذي يفضله على العيش نفسه ؟؟ إن المسيحي في محاولة  
فهم عقيدة الثالوث ، إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق ، وفي خضم هذا  
الصراع بين منطق عقله ، وموروث اعتقاده ، قد يصل به الأمر إلى الإلحاد ..  
إنه يبدو أن أصحاب الثالوث لا يؤمنون بالعقل ، ولا برسالات السماء ولا  
بأقوال الأنبياء ، وإلا لما أصروا على اعتقادهم رغم مناقضته لكل ذلك .

[انظر كتابه هذا : ص/١٧-١٨]

وسيكون لنا ياذن الله حديث مع هذا الكتاب لتعريف القارئ بآراء رجل  
من النصرانية ينتقد فيها باطلهم بعد أن هداه الله للإسلام ، وأثار بصيرته  
بنوره ، وفي هذا رد عملي على محمود أبورية المحسوب على الإسلام ، ويريد  
جذب الناس إلى ذلك الباطل ، إرضاء لنزعات ، ونكراناً لما أوجب الله  
إبلاغه ، وما أخذ من عهد الله ، في تبيين الحق وعدم كتمانها .

فهذا وأمثاله لما بصّرهم الله بتوظيف العقل في مهمته الحقيقية ، تفكيراً  
ومقارنة ، بما يقود إليه الفكر السليم الذي لا يتعارض مع المنطق ، ثم  
الاستسلام للدليل النقلّي ، حيث إن الدليل النقلّي لا يتعارض مع التفكير  
العقلّي السليم لما أورده الدكتور الهلالي في قصة مقابلة مع الدكتور الفرنسي  
موريس بوكاي الذي ألف كتاب : "التوراة والإنجيل والقرآن في نظر العلم  
العصري" وأبان فيه بالدليل العقلّي أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي  
يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية أن يعتقد بأنه حق منزل من الله تعالى ،  
ليس فيه حرف زائد ولا ناقص ، وقد توصل إلى هذا الفكر علمياً بعد أن نور  
الله عقله وقرأ القرآن الكريم باللغة العربية ، التي نزل بها ، وتدبر معانيه

ودلالاته ، حيث كان في أول أمره من أشد أعداء القرآن والرسول محمد ﷺ  
وكان كلما جاءه مريض مسلم يحتاج إلى علاج جراحي يعالجه ، فإذا تم  
علاجه يلقي عليه سؤالاً يريد من ورائه جذبته للهدف الذي كان يقصد  
بالتشكيك في كتاب الله ليقول كما هي شبهة المستشرقين والمبشرين : إنه من  
تأليف محمد وليس من كلام الله ، ومحمد نسبه إلى نفسه افتراءً على الله ،  
حتى يجره إلى هذا الاعتقاد ، وقد مضى على عمله هذا زماناً حتى جاءه الملك  
فيصل - رحمه الله - فعالجه جراحياً حتى شفي ثم ألقى عليه السؤال المتقدم  
ذكره ؟ فأجابه الملك فيصل بالقول : إن القرآن كلام الله حق ، وأن محمداً  
رسول الله ﷺ صادق ، قال بوكاي : فقلت له : أنا لا اعتقد صدقه ، فقال  
الملك : هل قرأت القرآن ؟ قلت : نعم قرأته ، مراراً وتكراراً ، فقال الملك  
فيصل : هل قرأته بلغته أم بغير لغته - أي بالترجمة - ؟ قلت : أنا قرأته بالترجمة  
فقط ، فقال لي : إذا أنت تقلد المترجم ، والمترجم لا علم له ، إذ لم يطلع على  
الحقيقة ، لكنه أخبر بشئٍ فصدقه ، والمترجم ليس معصوماً من الخطأ ، أو  
التحريف عمداً ، فعاهدني على أن تتعلم اللغة العربية ، وتقرأ القرآن بها ، وأنا  
أرجو أن يتبدل اعتقادك الخاطي ، قال بوكاي : فتعجبت من جوابه ، وقلت  
له : سألت كثيراً قبلك من المسلمين ، فلم أجد الجواب إلا عندك .  
فبدأت من ذلك اليوم في تعلم اللغة العربية كل يوم ساعة ، ولمدة عامين  
حيث أجدتها ، فلما قرأت القرآن باللغة العربية يامعان وتدبر ، وجدته هو  
الكتاب الوحيد ، الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله ،  
لا يزيد ولا ينقص ، أما التوراة والإنجيل الأربعة ، ففيها كذب كثير ، لا  
يستطيع عالم عصري أن يصدقها .

[انظر المقال كاملاً بمجلة البحوث الإسلامية ، العدد/١١ ، ص/٣١٣-٣١٨]

فهذه نماذج من شهادات رجال تاهوا في فكر العلوم العصرية ، فوجدوا المنقذ في فكر الإسلام ، فأسلموا ، ولهذين نماذج كثيرة من علماء ومفكرين قادمهم فكرهم الحقيقي إلى الدين الحق الذي لا يقبل الله من البشر سواه وهو الإسلام ، ذلك أن العقل الذي هو هبة من الله لابن آدم ، مهمته الحقيقية قيادة هذا الإنسان لكي يرتبط بخالقه الذي أوجده من العدم لمهمة أساسية ، وذلك بمعرفة الطرق التي أمر الله ورسوله بها من حيث الاستسلام للنصوص الشرعية : كتاب الله وسنة رسوله فكراً وعملاً ، والدعوة إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض ، وأداء الأمور التعبدية وفق ما شرع الله ، ونيل الشبهات المشككة بالاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله .

إن كل فكر يباعد المرء عن طاعة الله ، والانقياد لأمره سبحانه ، فهو فكر غير سليم ، يجب طرحه ، مهما كان سواء كان في الأمور التعبدية أو التربوية ، أو النفسية أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية أو غيرها من سائر أمور الحياة ، فالله لم يترك الناس هملاً ، بل هياً لهم ما يكبح جماح فكرهم ، ويصبرهم بالطريق السليم ، إلى متطلبات الفكر الحقيقي .

### حياة آل جفنة :

أورد الأصبهاني في كتابه الأغاني : أن خارجة بن زيد قال : دُعينا إلى مأدبة ، فحضرتها وحسان بن ثابت قد حضرها ، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأل ابنه أتعلم يد أو يدين ؟ [يعني باليد الشريد ، وباليدين الشواء ، لأنه ينهش نهشاً] ، فإذا قال : طعام يدين أمسك يديه .

فلما فرغوا من الطعام ، أتوا بجاريتين : إحداهما رائعة والأخرى عزة ، فجستا وضربتا ضرباً عجيباً وقالتا بقول حسان :

انظر خليلي بطن جلق هل \* تونس دون البلقاء من أحد  
فسمع حسان يقول : قد أراني بها سمياً بصيراً ، وعيناه تدمعان ، فإذا  
سكتنا سكت عنه البكاء ، وإذا غننا بكى ، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا  
سكتنا يشير إليهما بأن تغنيا فيبكي أبوه : فلما انقلب حسان من المأدبة إلى  
منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجله على الأخرى ، وقال : لقد  
أذكرتني رائعة وصاحبها أمراً ما سمعته أذناي يُعِيد ليالي جاهليتنا مع جيلة بن  
الأيهم ، ثم تبسم وجلس فقال : لقد رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين  
بالرومية بالبرابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة أهدهن إليه إياس بن قبيصة ،  
وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشرب  
فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في  
صحاف الفضة والذهب ، وأتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد  
له المندي إن كان شائياً ، وإن كان صائفاً أتى هو وأصحابه بكساء صيفية  
يتفضلون بها ، وفي الشتاء يؤتى بفراء الفنك ، وما أشبهه ، ولا والله ما  
جلست معه يوماً قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم ، وعلى غيري  
من جلسائه ، هذا مع حلم عمن جهل وضحك ، وبذل من غير مسألة ، مع  
حسن وجه وحسن حديث ، ما رأيت منه خناً قط ولا عريضة ونحن يومئذ على  
الشرك ، فجاء الإسلام فمحا الكفر وتركنا الخمر وما كره ، وأنتم اليوم  
مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر ، والفضيخ من الزهر والرطب ، فلا  
يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يذهب بعقله ودينه ، أفلا تنتهون ؟

[١٤/١٦]

## مراحل الخلق الإنساني في ضوء الكتاب والسنة والعلم الجديد

بمقام : الأستاذ محمد معين الفاروقي  
أستاذ سابق بقسم الحيوانات ، الجامعة الإسلامية عليكرة - الهند  
[الحلقة الثانية]

ترجمة إلى العربية : الأخ إحسان الله خان الندوي  
الباحث بقسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الإسلامية عليكرة - الهند

### "النطفة" :

و لقد جاءت كلمة النطفة اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم ، والكلمة مقيدة في بعض الآيات القرآنية مثلاً : ﴿ من نطفة إذا تمنى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٤٦] ، ﴿ نطفة من مني يُمنى ﴾ [سورة القيامة ، الآية : ٣٧] ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ [سورة الدهر ، الآية : ٢] واستعمل كلمة الماء أيضاً لهذا المدلول : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٥٤] وهو اللفظ يذكر ببعض القيود : ﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ [سورة السجدة ، الآية : ٨] ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ [سورة المرسلات ، الآية : ٢٠] ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ [سورة الطارق ، الآية : ٦] .

والنطفة تستعمل لمفاهيم عديدة في اللغة العربية مثلاً تطلق على مقدار قليل من الماء ، فما يبقى من الماء القليل في دلو أو قربة أيضاً نطفة (١) ، ويقال الماء الصافي أيضاً ، قليلاً كان أو كثيراً ولكن يدل على مقدار قليل من الماء على وجه العموم فيقال المني نطفة لقلته (٢) .

و وردت كلمة النطفة بالمعاني المذكورة في الأحاديث النبوية أيضاً ، كما

سأل النبي الكريم ﷺ عن الصحابة - رضي الله عنهم - : هل عندكم ماء

مراحل الخلق الإنساني في ضوء الكتاب والسنة  
للوضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة (٣) وفي حديث آخر عن عمران بن ابان ، قال : كنت أضع لعثمان طهوره فما أتى عليه يوم وهو يفيض عليه نطفة (٤) .

واستعملت النطفة في الأحاديث لقدر قليل من الريق كما ذكرت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وهي تذكر كوائف المرض الذي توفي فيه النبي ﷺ : "بينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي فظننت أنه يريد من رأسي حاجة فخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على ثفرة نحري فاقشعر لها جلدي فظننت أنه غشى عليه" (٥) .

ولقد وردت النطفة بمعنى المني في أحاديث أخرى فضلاً عن هذه الأحاديث المذكورة ، ولكن القرآن الكريم جاء في كلمة النطفة للنطفة الإنسانية وحدها ، وذهب كثير من المفسرين واللغويين : إلى أنها لماء الرجل فقط ، كما ورد في لسان العرب : "النطفة ماء الرجل" وكتب راغب الأصفهاني : "النطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل ، قال : ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، وقال : من نطفة أمشاج ، ألم يك نطفة من مني يُمنى" (٧) .

وقد ذكر بعض العلماء الباحثين في العلوم الجديدة أيضاً نفس المعنى ، كما كتب استائن غاس في قاموسه من العربية إلى الإنجليزية DROP OF SPERM : نطفة وترجم موريس بكاني هذه الآية : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ :

"THEN WE PLACED (MAN) ASA, SMALL QUANTITY (OF SPERM) IN A SAFE LODGING TIRMLY ESTABLISHED" (8).

ولكن القول الصحيح أن كلمة النطفة تشمل على ماء الرجل وماء المرأة (٩) ، كما جاء في الحديث النبوي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يتحدث أصحابه ، فقالت قريش : يا يهودي ! إن هذا يزعم أنه نبي ، فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي ،

قال : فجاء حتى جلس ، ثم قال : يا محمد ! بما يخلق الإنسان ؟ قال :

يا يهودي ! من كل يخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة" (١٠) .

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت أم سليم : يا رسول الله ! المرأة ترى زوجها في المنام يقع عليها ، أ عليها الغسل ؟ قال : نعم ، إذا رأت بللاً ، فقالت أم سلمة : أو تفعل ذلك ، فقال : تربت يمينك أنى يأتي شبه الخولة إلا من ذلك أي النطفتين سبقت إلى الرحم غلبت على الشبه" (١١) .

وإن وردت كلمة النطفة لماء الرجل في بعض الآيات القرآنية لأن الخلق الإنساني يقوم عليه (١٢) ، ولكن الآيات الأخرى تشير إلى أن النطفة تطلق على مخلوطة ماء الرجل وماء المرأة ، نذكر آيات من القرآن الكريم : ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ [سورة الدهر ، الآية : ٢] فاختلف المفسرون في تبين هذه الكلمة : أمشاج واحدة أم جمع (١٣) ولكنهم اتفقوا على أنها عبارة عن مخلوطة ماء الرجل وماء المرأة ، وصرح ابن عباس عن نطفة أمشاج : "ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا" (١٤) ، وذهب إليه عكرمة ومجاهد والحسن وربيع بن أنس قائلين : "الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة" (١٥) ، وقال ابن قتيبة : "الأمشاج اخلاط ... يريد اختلاط ماء الرجل بماء المرأة" (١٦) ، وقال ابن قتيبة أيضاً : إن هذا القول نقله الإمام الرازي والقرطبي والطبري أيضاً في تفاسيرهم ، وورد أيضاً في البحر المحيط وفي الأحكام للشافعي (١٧) ، وصرح صاحب الكشاف : "من نطفة امتزج فيها ماءان" (١٨) .

وكشف القرآن الكريم عن الستار قبل أربعة عشر قرناً أن الإنسان يخلق من نطفة أمشاج أي مختلط من ماء الرجل وماء المرأة ، وقد اعتقد العلماء إلى زمن مبكر أن الإنسان يُخلق من نطفة واحدة (١٩) وهذا أكبر دليل على

وذكر القرآن الكريم من بينات نبحتها في ضوء العلم الجديد فنطلع على اكتشافات جديدة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين \* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٢-١٣] ، وقال أيضاً : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين \* فجعلناه في قرار مكين﴾ [سورة المرسلات ، الآيتان : ٢٠-٢١] .

وذهب المفسرون عموماً إلى أن "نطفة" و "ماء مهين" يراد بهما ماء الرجل ، ولكن العلم الجديد لا يوافق مع هذه الآية القرآنية لأن "قرار مكين" مراده الرحم في الآية ، ولا تستقر نطفة الرجل بالرحم وحدها بل يدخل ماء الرجل وماء المرأة كلاهما ، أولاً في القاذف (Fallopian Tube) الذي يختلطان فيه فتخلق بها تلك المخلوطة التي تستقر في الرحم ويتشكل بها الجنين ، انظر

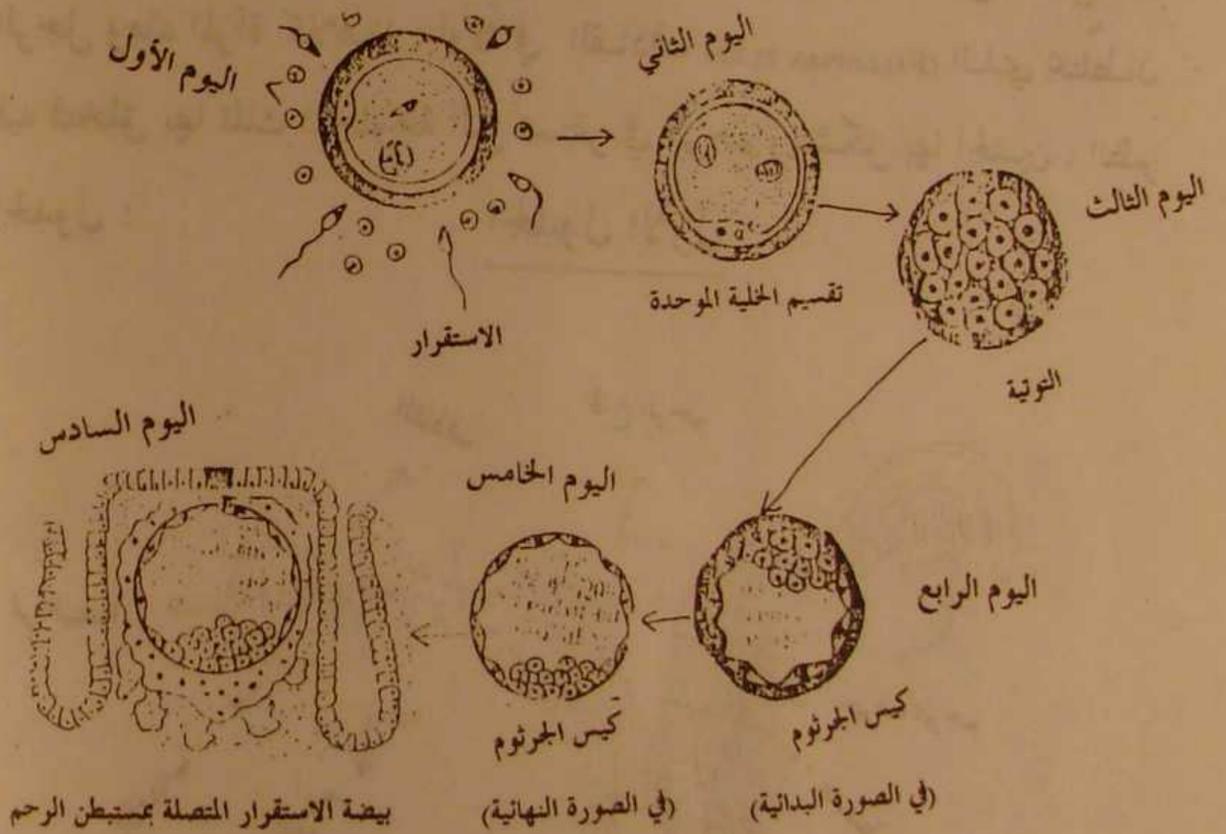
الجدول :

### الجدول الأول



والبيان عن هذا الإجمال أن البيضة تستقر (FERTILIZATION) في خارج الجزء الثالث للقاذف (FALLOPIOM TUBE) بين ١٢-٢٤ ساعة ، إذا خرجت البيضة (OVALATION) من خصية الرحم (OVARY) وتفرس الخلية الموحدة (ZYGOTE) ، ثم تزداد الخلايا على تقسيمها اثنتين ومن اثنتين أربعة ، ومن أربعة ثمانية حتى تتشكل حقيقة جامدة ، تسمى التوتية : (MORULA) ، ثم يخلق فيها جوف تنشر حوله الخلايا ، ويسمى كيس الجرثومة (BLASTOCYST) وبجانبه غشاء الخلايا يقال (INNER CELLMASS) ويخلق به الجنين ويلصق هذا الكيس للجرثومة بجدار من مستبطن الرحم أمامه أو ورائه في اليوم السادس للاستقرار بعد دخوله في الرحم (٢٠) .

الجدول الثاني :

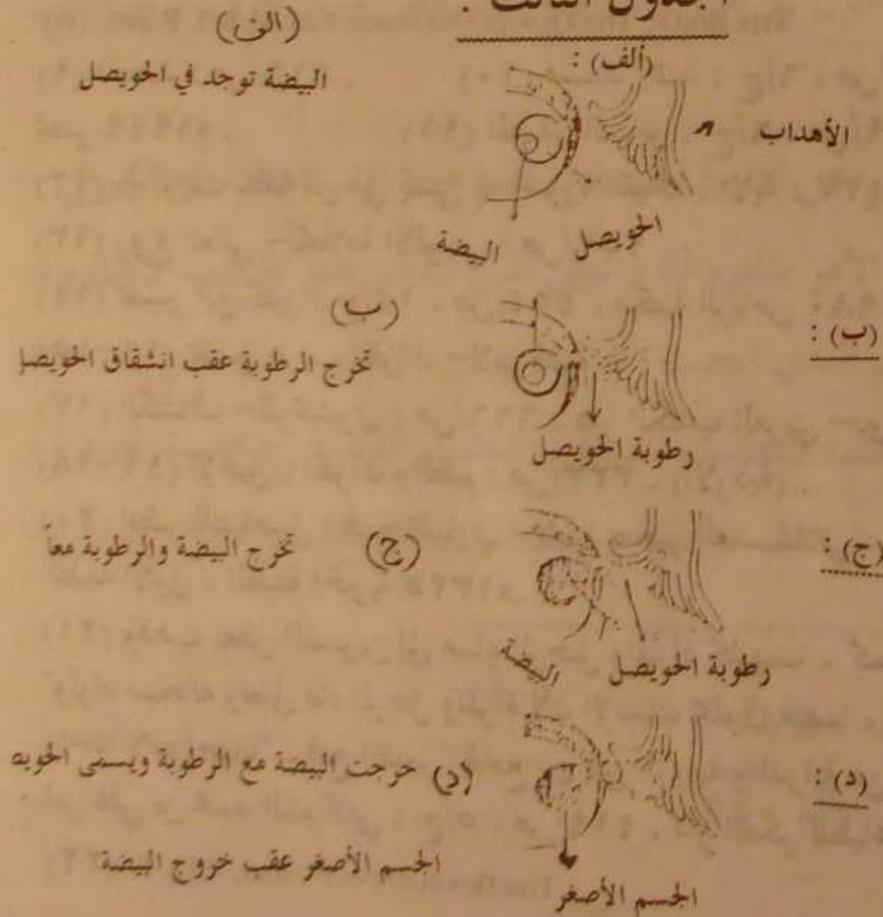


فيتبين بهذه الآيات الكريمة أن "نطفة" و "ماء مهين" لا تدلان على ماء الرجل وحده بل هو مخلوط ماء الرجل وماء المرأة وتشير إليه آية أخرى :

﴿ فلينظر الإنسان مما خلق \* خلق من ماء دافق \* يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [سورة الطارق ، الآيات : ٥-٦-٧] .

ما معنى : ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ ؟ فاختلف فيه المفسرون ولا نقول أيضاً قولاً قطعياً بل نرى أن العلم لما يبلغ إلى درجة تعين معنى هذه الآية ، وإذا ضاعفت اختراعات واكتشافات فتوضح لنا إعجاز هذه الآية الكريمة ، وإن ذهب المفسرون إلى تفسير ماء الرجل بماء دافق (٢١) ، لأنه هو الماء الذي يتصف بالدفق ، ولكن علم الطب كشف عن هذه الحقيقة بأن الدفق يوجد في البيضة أيضاً ، وتكون في المبيض (خصية الرحم) حوالي خمس مائة ألف بيضة غير ناضجة ، ولكن لا تصلح للنضج منها إلا أربع مائة بيضة وتخرج البيضة من غراف الحويصل في كل شهر بحيث يخرج هارمون من الغدة النخامية (PITUITORY GLAND) ، ويسمى بهارمون محرك الحويصل (FOLLICULAR STIMULATING HORMONE) وينشأ به الحويصل وترعرع البيضة بقدر ما أثر هارمون عليها ويزداد محلول الحويصل أيضاً حتى ينفجر الحويصل في مرحلة وتخرج منها البيضة بقوة لضغط المحلول وتتصف بالدفق .

الجدول الثالث :



ويؤيدنا ما عرف الدكتور الزنداني بصدد النطفة ، فهو يقول :

"IT'S REAL MEANING CAN ONLY BE DEDUCED FROM THE TEYL OF QURAN, EVIDENTLY IT IS A COMPREHENSIVE TERM AND INCLUDES MALE AND FEMALE GAMENTS AND POST OF NATURAL ENVIRONMENTS OF THE FLUD. IT ALSO INCLUDES "ZYGOT" "MORULA" AND "BLASTOCYST" TILL IMPLANTATION IN THE ULERUS".

"نحن لا نطلع على معنى النطفة الواقعي إلا بالقرآن الكريم ولكنها في الواقع اصطلاح جامع وشامل يطلق على خلية انتلافية للرجل والمرأة وما يتعلق بها من الرطوبة الطبيعية ، وتدخل فيها مراحل من كيس الجرثومة والخليات الموحدة والتوتية" (٢٢) .

[يتبع]

(١) المنجد في اللغة والأعلام : ص/٨١٦ .

(٢) لسان العرب - لابن منظور : ج/٩ ، ص/٣٣٥ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب اللقطة ، باب استحباب خلط الأزواد ، إذا قلت .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء .

(٥) مسند أحمد : ج/٦ ، ص/٢١٩ . (٦) لسان العرب : ج/٩ ، ص/٣٣٥ .

(٧) المفردات في غريب القرآن ، راغب الأصفهاني ، دار المعرفة بيروت : ص/٤٩٦ .

(٨) THE BIBLE, THE QURAN AND SCIENCE BY M.B.T. P.200.

(٩) المنجد : ص/٨١٦ . (١٠) مسند أحمد : ج/٦ ، ص/٢٠٠ ، دار المعارف

بمصر ١٩٤٩ م . (١١) المصدر السابق : ج/٦ ، ص/٣٠٩ ، الطبعة الهندية .

(١٢) ﴿ ألم يك نطفة من مني يُمنى ﴾ [سورة القيامة ، الآية : ٢٧] .

(١٣) روح المعاني - للعلامة الآلوسي : ص/١٥٢ .

(١٤) تفسير ابن كثير : ج/١٤ ، ص/٤٥٤ ، مكتبة الرياض ١٩٨٠ م .

(١٥-١٦) تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة .

(١٧) الكشاف - للزمخشري : ص/٦٦٦ ، دار الكتاب العربي - بيروت .

(١٨-١٩) الإنجيل ، القرآن والعلم : ص/٣٣٣ ، (الأردنية) .

(٢٠) انظر للتفاصيل : فتح الباري - لابن حجر العسقلاني : ج/١١ ، ص/٣٨٧ ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ .

(٢١) وذهب بعض المفسرين إلى ماء الرجل والمرأة كليهما ، كما كتب الشوكاني :

"وأراد سبحانه وتعالى ماء الرجل والمرأة لأن الإنسان مخلوق منهما ، ولكن جعلهما ماءً واحداً لامتزاجهما" ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - لمحمد

ابن علي بن محمد الشوكاني : ج/٥ ، ص/٤١٩ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢٢) THE DEVELOPING HUMAN, P.12. F.

## الحسبة ، ودورها في بناء المجتمع الإسلامي

[٢/الأخيرة]

بقلم : الأخ محمد رحمة الله القدي

مكانة الحسبة وأهميتها:

ما سقنا من الآيات

القرآنية والأحاديث النبوية

من خلال أقوال العلماء والمفسرين والمحدثين ، وآراء العلماء في موضوع الحسبة ومدى مشروعيتها ، تبين لنا بكل وضوح أن الحسبة تحتل مكاناً مرموقاً في الإسلام ، لأنها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وهذا من أخص خصائص الرسول الأعظم ﷺ : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ (١) ، وهو من مهام الرسل السابقين : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢) .

ولا شك أن الحسبة بمثابة صمام الأمان داخل المجتمع المسلم أو هي بمثابة جهاز صيانة دائمة تحول بين أفراد المجتمع الإسلامي وبين الوقوع في مخالفة الشرع .

وأحسن ما عبر عن أهمية الحسبة ما قاله حجة الإسلام الإمام الغزالي - رحمه الله - : "فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة وأضعلت الديانة ، وعمت الفسوة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق -

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد .." (١) .  
 وما لا ريب فيه أن كلام الغزالي يستحق أن يكتب ويُسجل بمداد من  
 الذهب في مجال بيان أهمية ومكانة هذا الواجب العظيم ، وليس هناك طريقة  
 أحسن وأسلوب أجذب وبيان أخلب من أسلوب الغزالي ، ولذلك نرى أن  
 كل من جاء بعد الغزالي فانه ، إما يشرح كلامه أو يفسره أو يختصره أو  
 يستفيد منه ، و ليس له غنى عن هذا الكتاب : "إحياء علوم الدين" في  
 موضوع الحسبة .

و يقول الإمام الماوردي -رحمه الله- : "و الحسبة من قواعد الأمور  
 الدينية ، و قد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها  
 وجزيل ثوابها" (٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "الأمر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله ، وهو من الدين ، فإن  
 رسالة الله تعالى إما إخبار وإما إنشاء ، فالإخبار عن نفسه وعن خلقه مثل  
 التوحيد والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد ، والإنشاء هو الأمر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر والإباحة" (٣) .

هذا ولا شك أن نظام الحسبة هو نظام إسلامي أصيل ، وهو الوجه  
 العملي التطبيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو لحمة الدين والشريان  
 الذي تسرى من خلاله الأخوة الإسلامية والمودة والتراحم والترابط الذي يجب

أن يتم بين الأمة أفراداً وجماعات ، وعلى هذا فإننا نرى أمة كأن قد فضلها  
 الله على العالمين يوم أن كانت قائمة بأداء هذه الفريضة المهمة ، فلما اندثر  
 فيها الاحتساب وانقطعت جذوره من بينها وتقاعس معظم أفرادها عن القيام  
 بها ، وأصبح التناصح والتواصي بالمعروف والحق ضائعاً فيها ، سلب الله تعالى  
 منهم هذا التفصيل ، ومقتهم ، بل طردهم عن رحمته الواسعة ولعنهم ، كما  
 قال الله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى  
 ابن مريم \* ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون \* كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه  
 لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (١) .

إذن فالحسبة إنما شرعت طريقاً للإرشاد وتوجيه الأمور إلى ما فيه خيره  
 وخير مجتمعه ، وتحويله ومنعه عما يضره ، أو يضر غيره ، وذلك بطاعته  
 والرجوع وامتثاله المنتظر (٢) ، قال أحد المعاصرين : والحسبة نوع من أنواع  
 التكافل الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي ، فكما أن هناك التكافل  
 الاقتصادي المالي بين المسلمين والمتمثل في الزكاة والصدقات والحقوق  
 الاجتماعية الأخرى ، فإن الحسبة تمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في  
 جانبه التطبيقي هي نظام تكافل اجتماعي معنوي (٣) ، قال تعالى : ﴿ و  
 المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض \* يأمرون بالمعروف وينهون عن  
 المنكر ﴾ (٤) .

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٨-٧٩ .

(٢) انظر : مجلة حضارة الإسلام - للشيخ علي الحفيف ، العدد التاسع ،

رمضان ١٣٨١هـ . (٣) الحسبة في الماضي والحاضر : ج/١ ، ص/٢٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .

(١) إحياء علوم الدين بشرح الزبيدي : ج/٧ ، ص/٣ .

(٢) الأحكام السلطانية - للماوردي : ص/٣٢٢ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ص/٢٥ .

أركان الحسبة :

كما أسلفنا من قبل أن كتاب الإمام الغزالي هو المعول عليه عند الكتاب في موضوع الحسبة ، وكذلك أركان الحسبة ، فقد ذكر الإمام الغزالي أن للحسبة أربعة أركان فقال : "اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة :

١- المحتسب، ٢- المحتسب عليه، ٣- المحتسب فيه، ٤- نفس الاحتساب" (١) .  
وفيما يأتي نذكر شرح هذه المصطلحات الأربعة بإيجاز واختصار ، مع ملاحظة أن موضوع بحثنا لا يتجاوز الركن الأول وهو المحتسب مع ذكر شروطه وآدابه وما يتعلق به من أمور أخرى ، وذلك في ضوء أقوال وآراء الغزالي - رحمه الله - :

١- المحتسب : "هو الذي يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقاً لمنهج الشريعة امتثالاً لأمر الله و طلباً لثوابه متولياً أو متطوعاً".

٢- المحتسب عليه : "وهو كل إنسان يباشر أي فعل يجوز أو يجب فيه الاحتساب ويسمى المحتسب عليه أو المحتسب معه (٢) ، أو نقول : المحتسب عليه هو إنسان ترك معروفاً في الشرع أو أتى منكراً محظوراً في الشرع ، مكلفاً أو غير مكلف" (٣) .

٣- المحتسب فيه : "وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد" (٤) .

٤- نفس الاحتساب : "هو القيام فعلاً بالحسبة ، كأن يأمر المحتسب بفعل معين بكيفية معينة أو يزيل منكراً بيده كأن يكسره أو يمزقه أو يتلفه أو يدفع صاحب المنكر بيده وبالقوة عما هو فيه" (٥) .

(١) انظر : إحياء علوم الدين مع شرحه : ١٤/٧ .  
(٢) أصول الدعوة - للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/ ١٨٦ .  
(٣) الحسبة في الماضي والحاضر : ١٥٠/١ .  
(٤) إحياء علوم الدين مع شرحه : ٣٤/٧ .  
(٥) أصول الدعوة : ص/ ١٩٥ .

دراسات وأبحاث :

دراسة الكتاب السماوية  
والعلامة حميد الدين الفراهي  
بمقام : الأستاذ محمد فضل الإصلاحي  
تعريب : ابن لفيق الأملقي

القرآن كتاب الله  
وكلامه ، يناجي به العبد ربه ،  
ووسيط بين الله وخلقه

يتقرب به المؤمن الخالص إلى الله ، فالتعلق به دليل على علاقته بالله ، فإذا كان القرآن أحب الكتب إليه كان الله أحب إليه من كل موجود ، والإنسان لا يتمتع بأفضاله وبركاته ولا يستنير بنوره إلا قدر رغبته فيه وانقطاعه إليه ، الإنسان يمكن أن يكون مقراً بسعته في العلوم والفنون بلسان مفسر أو عالم ولكنه لا يستطيع أن يذوق حلاوته وما فيه من فوائد إلا بدراسته الذاتية وتفكيره العميق في أسرارها ولا يبلغ مرامه إلا أن ينظر فيه بعيداً عن كل عصبية فكرية ، فإن تدبره ولديه فكرة خاصة فلا يفسره إلا حسب غرضه ولا يأخذ منه إلا ما يؤيد مذهبه وبذلك يخل بنظمه ويعيب جماله ويفتك ببلاغته ويذهب بتأثيره كما يشعر بالملل عند قراءته فلا ينال منه شيئاً ولا يستفيد من هذا البحر الفائق الشاطئ المشحون بالآلي والجواهر إلا حصي ، وقد ضرب له النبي الكريم ﷺ مثلاً فقال : "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" (١) .

يجب على من يتصدى لفهم القرآن والاستفادة منه أن يتضلع من اللغة العربية ويدرس الأحاديث الواردة وتاريخ الأمم الماضية ثم يتفكر فيه في ضوء نظمه البديع ونظائره وأساليب بلاغته ويستعين في تفصيل ما أجمل وإجمال ما فصل بالأحاديث الصحيحة وبما ثبت من تاريخ الأمم السابقة وبالصحف

السماوية الأخرى ، والآن يدور بحثنا حول الصحف السماوية الأخرى ونكتفى بذكر أهميتها ودورها في فهم القرآن حيث إن القرآن نفسه يحيل إلى ما ورد فيها من قصص وأمثال دونما مرة واحدة ، قال جلّ من قائل : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى .. ﴾ [سورة النجم ، الآيتان : ٣٦-٣٧] ، وقال : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥] ، وجاء في سورة الأعلى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى ﴾ [سورة الأعلى ، الآيتان : ١٨-١٩] .

تشير هذه الآيات الكريمة إلى أهمية دراسة الصحف السماوية الأخرى ، وكذلك أحاديث الرسول الأعظم ﷺ نستفيد منها اختيار المسلك الوسط بالنسبة لهذه الكتب .

قال رسول الله ﷺ : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " (٢) . يتضح من ذلك جلياً أن أخبار الكتب المقدسة التي لا يصدقها القرآن والحديث ولا يكذبانها نتوقف عنها ، ولا بأس بالتي يصدقها القرآن والحديث وأما التي يكذبانها فلنتركها كل الترك .

ويبدو من هذا التفصيل أنه لا ينبغي لنا أن نأخذ من الصحف السماوية بصفة العميان لأن المبطلين قد أدخلوا فيها كثيراً مما عندهم وبدلوا صور الكلم وترتيب الجمل حسب أهوائهم إلا أنها قد حفظت لنا كثيراً من الحقائق والمعارف وبعض المعالم والشواهد التي لا تدل على الحقيقة فحسب بل تكشف الستار عن وجوه الخرفين الضالين ، فيمكن أن نطلع بالتفكر في الصحف ودراستها على رموز وحقائق تصدق ما يحتوي عليه القرآن وتوضح ما أجمل منه وتفسر ما يحتاج إلى ذلك ، والحق أن التوراة والإنجيل نزلا باللغة العبرانية.

والعبرانية والعربية مصدرهما واحد ، وهناك تشابه كبير بين الكلمات الواردة والأساليب المتبعة فيهما ، ومن المعترف أن اللغات المتشابهة تتعاون بعضها مع بعض في فهم معانيها ، والمجمع عليه بين علماء الإسلام أن أصول الكتب المنزلة كلها ومحتوياتها الأساسية وأمورها الكلية تجمعها وحدة كلية ، فالأخذ منها بما يعين في فهم القرآن مع بحث وحذر ، لا يخلو من الفائدة بل يكشف عن كثير من أسرار القرآن ويحل عقد كثير من غوامضه .

وقد رجع كثير من العلماء والمفسرين على الصحف السماوية في فهم كثير من كلمات القرآن ومحتوياته وسعوا من خلالها للتوصل إلى مدلولات من القرآن الكريم ، والعلامة حميد الدين الفراهي ممن يجدر بالذكر من بين هؤلاء المفسرين فإنه قد انقطع إلى القرآن ووجه كل عنايته إلى هذا المصدر الأول الأصيل وصرف مجهوداته في البحث والتحقيق نحو ما يتعلق به ويدور حوله وخلف وراءه مآثر قيمة في علوم القرآن الكريم .

الأصول المتبعة عند العلامة الفراهي للنظر في الكتب المنزلة السابقة :

١- أما الكتب السابقة فجلها في العبرانية وهي صنو لغة العرب فهي أشبه بها ظاهراً كما أن بين الكتب السابقة والقرآن الكريم مشابهة قوية في المعنى والمضمون (٣) .

٢- لا يعتمد على ما وافق هواهم وخالف ما ورد في القرآن ولو وقع فيه صريحاً لأنهم بدلوا وحرفوا كثيراً .

٣- من بدل وحرف فربما يخلط الحق بالباطل يادخال تغييرات وتحريفات حسب هواه وما بقي فيها من ملامح الحق على رغم ذلك يؤخذ به باقتضاء النص وإشاراته ويتمسك بالأمر التي فاتها التحريف .

٤- الأمر الحق يجمع حوله حقائق وشهادات ويبقى الكذب مخذولاً فيستدل

٤١٧  
٤٨٩٣  
١٢٣١٩٥

عليه بتطبيق الآيات والروايات وأجزاء الواقعة الواحدة وما يتصل بها .

٥- يرجع إلى ما علم واشتهر من تاريخ الأمم وأحوالها (٤) .

وقد يسأل سائل : لما كانت الكتب المقدسة غير مصونة فكيف نفسر كتاباً محفوظاً بالتي لم تحفظ ؟ يقول الإمام الفراهي ردّاً على هذا السؤال : "إن الأمر كما ظننت ولكننا أولاً نفهم القرآن من نفسه ولغته لغة العرب ، ثم إذا رأينا في الكتب المقدسة ما يقاربه معنى تأملنا في أسلوبها لتتضح بلاغة القرآن وتزداد الثقة بما رأينا ، ويتبين لنا معنى بعض كلام الوحي القديم المشتبه المحال في الظاهر فيكون دليلاً لأولى الفهم من أهل الكتاب على صحة القرآن دليلاً لنا على صحة كتبهم وذلك يفتح لنا باب الوفاق والانسجام مما يقربنا إلى الهداية" (٥) .

ولو تدبر أحدنا في الكتب المقدسة في ضوء هذه الأصول يتضح له أن القرآن أعلى وأرفع من أن يجعل اليهود وكتبهم المخرفة مركزاً له ومحوراً يدور حوله بل هو مصلح للكتب السابقة وما يتخيله اليهود وكاشف عن تحريفاتهم وأباطيلهم .

وقد ألف العلامة الفراهي كتابين عن الكتب السماوية أحدهما : "الإكليل في شرح الإنجيل" وشرح فيه كلمات وعبارات حرفها النصراني على الخصوص ولكن من الأسف لم يمهله الأجل لإتمامه وإكمالها ومع ذلك فإنه نادر لا يوجد له نظير .

وثانيهما : "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" فقد بحث فيه الإمام الفراهي عن حقيقة الذبح وأهميته في الإسلام ثم أثبت بالأدلة الثابتة من القرآن والتوراة أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق -عليهما السلام- على خلاف ما ادعاه أهل الكتاب .

ومقابلة العلامة الفراهي لسورة الفاتحة على دعاء النصراني وتأثير الريح في إهلاك الأقسام البائدة وتحقيق المواقع التاريخية من القرآن المجيد في ضوء الصحف السماوية ، كل ذلك يميزه عن عامة المفسرين ونكتفى هنا بالكلام عن هذه الأمور الثلاثة .

١- قد جاء في الحديث النبوي الشريف أنه لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل مثل سورة الفاتحة : "إن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله ﷺ يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ، فقال : إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن الكريم مثلها ، قال أبي : فجعلت أبطى في المشى رجاء ذلك ، ثم قلت : يا رسول الله ﷺ ! السورة التي وعدتني ، فقال : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ، قال : فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين ، حتى أتيت على آخرها ، فقال رسول الله ﷺ : هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت" (٦) .

وفي حديث قدسي رواه أبو هريرة ؓ قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، قال الله : أثنى علي عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض علي عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل ، فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم \* غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، قال : هذا لعبي ولعبي ما سأل" (٧) .

يقول الإمام الفراهي بعد ذكر فضيلة سورة الفاتحة في ضوء هذا الحديث

القدسي : "إنا نجد ما يقارننا في صلاة علمها عيسى  $\text{ﷺ}$  للحواريين ، وإن كانت النصراني قد نسوا بعض عبارتها ومدلولها ... فلنذكره لتتضح مطابقتها وبراعة القرآن ، في الإنجيل المنسوب إلى لوقس : "قد وقع إنه (عيسى) كان يصلي في مكان فلما فرغ من الصلاة بعض حواريه : مولانا علمنا الصلاة كما كان يحيى يعلمها أتباعه ، فقال لهم : إذا صلوا قولوا ، أبانا الذي في السماء سبحان اسمك ليأتين ملكك ليقعن رضاك في الأرض كما في السماء أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا واعف عنا فإننا أيضاً نغفرو عن كل من عليه حقنا ولا تهدنا إلى الفتنة بل أنقذنا من الشر" (٨) .

وقد قارن الإمام الفراهي بين الدعاء المذكور أعلاه وسورة الفاتحة فلخصه فيما يلي :

الدعاء الذي علمه عيسى عليه السلام : دعاء سورة الفاتحة  
سبحان اسمك : الحمد لله  
أبانا الذي في السماء : رب العالمين  
ليأتين ملكك : مالك يوم الدين  
أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا واعف عنا : اهدنا الصراط المستقيم صراط  
فإننا أيضاً نغفرو عن كل من عليه حقنا : الذين أنعمت عليهم غير  
ولا تهدنا إلى الفتنة بل أنقذنا من الشر : المغضوب عليهم ولا الضالين (٩) .

٢- يبدو من دراسة الآيات التي ذكرت فيها الأقوام البائدة أن الريح لها دور رائع في إهلاكها فقد كثر إليها الإشارة في القرآن والتوراة ، مثلاً : قد عبر عن الريح في موضع بجنود الله ، يقول الله - عز وجل - : ﴿ والله جنود السماوات والأرض \* وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ [سورة الفتح ، الآية : ٤] ، وفي موضع آخر قال : ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم \* قالوا : هذا عارض

دراسة الكتب السماوية والعلامة حميد الدين الفراهي  
مظهرنا \* بل هو ما استعجلتم به \* ريح فيها عذاب أليم ﴿ [سورة الأحقاف ، الآية : ٢٤] ، وأيضاً : ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴿ [سورة الداريات ، الآية : ٤١] .

وقد ذكر في التوراة هلاك قوم موسى  $\text{ﷺ}$  بهذا الأسلوب ، فجاء : "و مدّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء" (١٠) .  
وقد ذكر في سفر الخروج أنشودة الحمد لموسى  $\text{ﷺ}$  : "نفخت بريحك فغطاهم البحر" (١١) .

وكيف تتم الرياح أمره ؟ قال العلامة الفراهي استناداً إلى آية الزبور الآتية : "سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج ، النار والبرد والثلج والضباب ، الريح العاصفة الصانعة كلمته" (١٢) .

ولدورها الرائع بين أنواع العذاب السماوي يعدّها الإمام الفراهي سبباً أصيلاً في إهلاك أبرهام وحنوذه فيقول : "وبالجملة فلا بد أن الله تعالى رماهم بالحصباء والغبار من السماء والهواء كما رمى قوم لوط فأصابت أجسامهم من كل جهة" (١٣) .

٣- لم يرد في القرآن الكريم تصريح بالجهة التي قصدها موسى  $\text{ﷺ}$  عندما طالب فرعون بإرسال قوم بني إسرائيل : "أن أرسل معنا بني إسرائيل" لما نجاهم الله تعالى من عذاب فرعون وملائته ؟ إلا أن عبارة التوراة تلقي بعض الضوء على ذلك ، فقد جاء فيها . فقال موسى : "أنت تعطى أيضاً في أيدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب إلهنا ... ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى نأتي إلى هناك" (١٤) .

وجاء في الخروج : "فدعا موسى وهارون ليلاً ، وقال : قوموا ، اخرجوا

من بين شعبي ، أنتما وبنو إسرائيل جميعاً ، واذهبوا ، اعبدوا الرب كما تكلمتم ، خلدوا غنمكم أيضاً ، وبقركم كما تكلمتم ، واذهبوا ، وباركوني أيضاً" (١٥) .

والذي أمر الله به موسى في الذبح هو : "قدس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم ، إنه لي" (١٦) ، وفي ضوء نصوص التوراة التي تتضمن الذبح والعبادة وكل البكر من البهائم يرى الإمام الفراهي أن موسى ﷺ كان يقصد بقومه مكة المكرمة وهذا لأنه موضع تاريخي أراد فيه إبراهيم ﷺ أن يذبح لله ابنه إسماعيل ﷺ .

ويستفاد من هذه التصريحات :

ألف- إن القرآن يصحح أخطاء الصحف المقدسة ، و يهدي أهل الكتاب إلى الحق .

ب- وإن تنازعنا في شئ فلنرده إليه لأنه كتاب مصون من التحريف والتبديل .

ج- و نكشف به ما وقع فيها من التعارض و التناقض يعول عليه في تصحيح الأخطاء التي تمسك بها المناصرون للإسرائيليات .

د- و يتضح لأهل الكتاب أن القرآن لا يلتقط من كتبهم وإنما يكشف الستار عن أخطائهم وأوهامهم .

هـ- ويسهل به تفسير مبهمات القرآن التي تشير إلى بعض ما ذكر في التوراة .

و- ويزداد الإيمان بصحة الرجوع إلى الكتب السماوية لإدراك بعض الجزئيات .

ز- يتحقق وعد القرآن بأنه يكشف عما التبس على أهل الكتاب من الأمور ، فتطمئن بذلك قلوبنا .

ح- وعند مواقع الاستدلال بما عندهم تزداد ثقتنا بما عندنا .

ط- ويزداد الإيمان قوة بأنها نزلت من الله ودخلها التحريف فيما بعد .

### الهوامش :

(١) مسلم بن الحجاج : "الصحيح لمسلم" : ج/١ ، كتاب فضائل القرآن : ص/٢٦٧ ، طبع في مطبعة كلكتا .

(٢) البخاري : "صحيح البخاري" : ج/٢ ، كتاب الاعتصام : ص/١٠٩٤ ، طبع في مطبعة ديوبند .

(٣) الإمام عبد الحميد الفراهي : "أساليب القرآن" : ص/٣ بالدائرة الحميدية ١٣٨٩ هـ .

(٤) الإمام عبد الحميد الفراهي : "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" : ص/٣٨ بالدائرة الحميدية ١٤١٤ هـ .

(٥) الإمام عبد الحميد الفراهي : "فاتحة نظام القرآن" : ص/١٥ ، بمطبعة إصلاح ١٣٥٧ هـ .

(٦) الإمام مالك : "الموطأ" : ص/٢٨ ، بمطبعة أشرفي بديوبند .

(٧) الإمام مسلم : "صحيح مسلم" : ج/١ ، كتاب الصلاة : ص/١٧٠ .

(٨) الفاتحة : ص/٥٩ .

(٩) المصدر السابق : ص/٥٩ ، هناك زيادة مني في ضوء أصول الإمام الفراهي ، فنقول

للقارئ الكريم : أن ينسب إلي ما يشعر فيه من الأخطاء ويعزو إليه ما يرى فيه من الخاسن (الكاتب) .

(١٠) الخروج ، الباب/١٤ ، الآية/٢١ .

(١١) الخروج ، الباب/١٥ ، الآية/١٠ .

(١٢) مزامير/١٤٨ ، الآيات/٧-٨ .

(١٣) الإمام عبد الحميد الفراهي : "تفسير سورة الفيل" : ص/٢٦-٢٧ ، الدائرة

الحميدية ١٣٥٤ هـ . (١٤) الخروج ، الباب/١٠ ، الآيات/٢٥-٢٦ .

(١٥) الخروج ، الباب/١٢ ، الآيات/٣١-٣٢ .

(١٦) الخروج ، الباب/١٣ ، الآية/٢ ، لم يذكرها الفراهي ولكنها ذكرناها في ضوء أصوله

وتجدد في الأصل قوله : إنه كان يريد ببني إسرائيل مكة المكرمة (الكاتب) .

ويقلع عن التمرد والعصيان ، فقد ورد في القرآن الكريم التأكيد الشديد على أن ينظر الإنسان إلى طعامه ، ما هي المراحل المخيرة التي يقطعها حتى يصل إلى يديه ؟ وما هي العوامل المدهشة التي تعمل فيه ؟ فقال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه \* أنا صببنا الماء صباً \* ثم شققنا الأرض شقاً \* فأنبتنا فيها حباً \* وعنباً وقضباً \* وزيتوناً ونخلاً \* وحدائق غلباً \* وفاكهة وأباً \* متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ [سورة عبس ، الآيات : ٢٤ - ٣٢] .

إن القرآن الكريم يحث الإنسان في هذه الآيات على أن يقوم بمشاهدة نظام الغلال والثمار ، ويطالع الدور الذي يلعبه كل من الأرض والماء والشمس في إنتاجها ، كيف أن الفلاح يحث الأرض ويلقي فيها البذور ويسقيها الماء ، ثم يأتي دور القوى الطبيعية (الإلهية) فتعمل هذه القوى الأرضية والسماوية بطريقة مدهشة على تحويل تلك البذور إلى الأشجار والأنبئة التي تزود الإنسان والحيوان بالغلال والثمار والفواكه ، ولو تعطل أي واحد من تلك العوامل فإن الإنسان ليس له إلا أن يموت جوعاً .

إن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى دراسة النواحي العديدة للحياة النباتية ، واستعراض أسبابها وعللها في غير واحد من المواضع ، وقد ذكر في هذا الخصوص بعض الخصائص المهمة للحياة ، كما أنه ألمح إلى بعض الجوانب التي تثبت وحدانية الله تعالى وإتيان اليوم الآخر ، هذا إلى أنه يبدد الغلاف عن بعض الأسرار الخفية والحقائق الكامنة في الحياة النباتية ، وهذه الحقائق على جانب عظيم من الأهمية في هذا العصر العلمي الحديث .

التشابه بين الحيوان والنبات : إن الأشجار والأنبئة تعتبر من الكائنات الحية من الوجهة العلمية ، لأنها تشابه الحيوانات في كثير من خصائصها ، مثلاً :

١- الحيوانات والنباتات كلاهما تتكونان من مجموعة من الخلايا الصغيرة

## الله يتلج في عالم النبات

النباتات تشهد على التوحيد والرسالة

وصدق القرآن الكريم

بقلم : فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي  
الأمين العام للإكاديمية القرآنية ورئيس دار الشريعة ببنغلور - الهند

إن دنيا النبات تحتل مكانة بالغة الأهمية من بين ما خلقه الله تعالى من الأنواع والأجناس على وجه الكون ، لكونها تتوقف عليها حياة الإنسان

والحيوان ، فإنها توفر لنا قوتنا الذي نتغذى به ومعظم المرافق واللوازم التي نحتاج إليها في هذه الحياة الدنيوية ، من الغلال والأعداس والخضراوات والثمار والفواكه والتوابل والأبراز وما إلى ذلك ، كما أنها تمدنا بالأدوية المتنوعة التي نحصل عليها من جذورها وثمارها وقشورها وأزهارها وما إلى ذلك ، وكما أنها تهين لنا الوقود والخطب والفحم والحبال والأخشاب التي نستعملها في تشييد المباني والأكواخ ، وفي صنع الطاومات والكراسي والسلات ، فكان حياة الإنسان مرهونة لها في كثير من معانيها ، وهكذا فهي صاحبة الأهمية القصوى في جميع المخلوقات الإلهية ، والواقع أن هذا الكون للمبني بأمثال هذه الأشياء والحقائق ، ولكن الإنسان لا يتنبه لها ولا يقف عندها وقفة تأمل وتفكير ليذكر بها ويعتبر ، وإنما يمر عليها مرأً عابراً سريعاً .

فلينظر الإنسان إلى طعامه : إن الله تعالى قد خلق هذا العالم المادي بتقدير خاص ونظام بديع ، وأودع فيه أنواعاً من الدروس والعبر ، والعظة والبصائر ليتأمل فيها الإنسان ويتفكر في مظاهر الكون فيتهدي إلى خالقه الحقيقي ،

المشحونة بمادة متحركة تسمى البروتوبلازما في المصطلح العلمي .

٢- تجري في كليهما سنة النمو والتزعرع ، يعني أن أجسامهما تمر بمراحل النمو والتزعرع والاكتمال إلى مدة ، ثم تصير إلى الزوال .

٣- يعمل في كليهما نظام التنفس ، يعني أن النبات يتنفس أيضاً مثل الحيوان ، والفرق البسيط بينهما أن الحيوانات تستنشق الأوكسجين (O<sub>2</sub>) وتخرج ثاني أكسيد الكربون (CO<sub>2</sub>) ، بينما النباتات على العكس منها تستنشق ثاني أكسيد الكربون وتخرج الأوكسجين ، وبفضل هذا العمل الثنائي التبادلي يكون الجو محتفظاً بمعدل الأوكسجين ، وإلا فإن جميع الحيوانات والإنسان يفقدون حياتهم لقلة الأوكسجين ، وهذا العمل الإلهي مدهش للغاية ومظهر عظيم من مظاهر الربوبية .

٤- توجد لدى كليهما قوة الإدراك والشعور ، وكلاهما تشعر بالألم والراحة ، كما أن العالم الهندي الشهير السير جغديش جندر بوس قد أبهر الدنيا العلمية على بكرة أبيها بالقيام بعرض تجريبي في هذا الخصوص .

٥- إنها تأكل وتشرب مثل الحيوانات ، ولكنها تفتت الماء والعناصر البسيطة ، والحيوانات تستهلك المواد الجاهزة .

٦- إنها تقوم بعمل الزواج فتخصب وتنجب ، مثلما تفعل الحيوانات ، ولكن الفرق بينهما أن هذا العمل لا يكون مباشراً بالنسبة للأشجار والأنبئة بل يكون غير مباشر ، وإنما أولادها الحبوب والثمار والفواكه التي تغلها هي ، كأنها ولدتها ، وهذا باب مشرق جداً من الحياة النباتية ، ولو طوي هذا الباب من حياتها لكان ذلك مؤدياً إلى انهدام كيان الحياة الحيوانية والإنسانية ، ولذلك قال تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ [سورة يونس، الآية : ١٠١] .

النسق البديع في الدنيا النباتية : وما يعلم أن هذه الحقائق مضبوطة مشاهدة وتجربة من الواجهة العلمية ، وقد تم حتى الآن اكتشاف أكثر من أربعمئة ألف نوع من الأشجار والأنبئة والكلأ يختلف خصائص كل منها من نوع لآخر ، ويتحصل فيها نسق بديع مدهش للغاية ، ويظل كل نوع منها محتفظاً بخصائصها النوعية عبر آلاف السنين ، ولا يحصل فيها أي تخلف أو تفاوت ، ومعلوم أن مثل هذا النسق البديع لا يمكن أن يتبقى ويستمر تلقائياً ، من غير يد مدبرة .

فلا بد من الاعتراف برب خلاق يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ولكن الماديين اختلقوا نظرية النشوء والارتقاء لتعليل هذا النظام القويم والنسق البديع ، ولكن هذه النظرية لا خلاق لها من التعليل السليم لمظاهر الربوبية هذه ، وحل الأغيز الحياة ومعميات الكون ، بل إنه لا مناص من التسليم بوجود إله واحد أحد ، ومن هذا المنطلق يوجه القرآن الكريم الدعوة المؤكدة إلى الناس كافة في غير قليل من المواضع لمشاهدة جوانب الحياة النباتية، ودراسة النظم العاملة فيها ، وأخذ النتائج الصحيحة منها والاعتبار بها .

الروائع الإلهية في مشاهد الطبيعة : إن القرآن الكريم يدل في بعض آياته على وجود الباري تعالى بذلك الحسن والبهجة والرونق والبهاء الذي يوجد في النباتات : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج \* تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [سورة ق ، الآيتان : ٧-٨] .

فإن الروعة والخلابة التي تملكها الأشجار والأنبئة المنوعة ، إنها إن دلت على شيء فإنما تدل على صنع صانع خاذق في صنعته ، فهذه الأزهار الملونة والأوراق المطرزة والأنوار البهية ، وما فيها من مزج بديع وتناسق جميل في

الألوان المختلفة ، إنها تهدي إلى عينيك منظراً فاتناً ومشهداً خلاباً ، وتثير لك ملامح خلاق قدير ، أبدع هذه الظواهر الطبيعية ، وحلاها بأصناف من التطريزات وأنواع من الوشي والخلي ، وإذا كان هذا الكون البديع قد أتى إلى حيز الوجود تلقائياً وأوتوماتيكياً دون خالق وصانع ، فمن أين هذه الروقة وتلك الخلابة في الأشجار والأنبئة ، وفي دنيا النبات بأسرها ؟ فإنيك إذا تفقدت هذه الظواهر النباتية فلا ترى فيها أيّ تفاوت أو نقص ، فواعجبا ، هل يمكن أن يتأتى مثل هذا النسق البديع والانسجام المدهش دون مدير ووكيل ؟

عملية الازدواج في دنيا النبات : ومن أعظم ما يثير الحيرة والاستعجاب هو سنة الازدواج في دنيا النبات ، يعني أنها يوجد فيها الذكر والأنثى مثلما يوجد في الحيوانات ، وقد ورد ذكر هذه الحقيقة في القرآن الكريم في شتى المواضع ، يقول عز من قائل : ﴿ وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [سورة ياسين ، الآية : ٣٦] .

وقد ثبت من هذا الكشف الرباني أن سنة الازدواج (وجود الزوجين : الذكر والأنثى) كما تجري في النوع البشري فإنها تجري في العالم النباتي كذلك ، وكما أعلنت هذه الآية الكريمة أن هناك موجودات كثيرة في هذا الكون تحصل فيها هذه الضابطة . ولكن الإنسان لا يعلم تلك الموجودات . وجود عليم خبير : تدل الآية الكريمة السالفة الذكر من سورة ياسين على حقيقتين أساسيتين :

١ - إن الذات المبدعة التي ست هذه الضابطة الشاملة إنما هي ذات عزة

٢ - وأن الذي أبدع هذا العالم عالم بجميع خلقه ، خبير بكوامن أسراره وخفايا عجائبه .

ومن ثم فإنه أودع كلامه منذ قرون طويلة أخباراً غيبية عن مخلوقاته الكثيرة وعن الماكينة الباطنة فيها ، فإنه مما لا يخفى أن قانون الازدواج في عالم النبات لم يكتشف إلا في العصر الحديث ، ولم يكن للإنسان عهد به قبل ذلك ، فدل ذلك على أن في الكون ذاتاً خبيرة تعلم السر في السماوات والأرض ، وهي الله لا إله إلا هو .

الأدلة العلمية على التوحيد والنبوة : وقد تمخض هذا البحث عن حقيقتين أخريين :

١ - إن القرآن كلام الله الذي لا ريب فيه ، وهو جامع للأسرار الخفية في مظاهر الكون .

٢ - إن الرسول الكريم الذي أنزل عليه هذا القرآن ، والذي بلغه إلى الناس كافة رجل صادق أمين لا ينطق عن أهوى ، وهو نبينا محمد ﷺ .

إن مثل هذه الحقائق الكونية تبرهن على وحدانية الله تعالى ، وصدق

رسالة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى .

الكون والقرآن كلاهما شاهد لصاحبه : والحقيقة أن استعراض مظاهر الكون (المخلوقات الإلهية) يقيم حجة بالغة على وجود قوة خارقة ، ودراسة القرآن المجيد وإمعان النظر فيه يرشد إلى وجود إله خبير ، أما المقارنة بينهما فإنها تزيج القناع عن حقيقة باهرة هي أن الله الذي خلق هذا العالم المزخرف هو الذي أنزل هذا الكتاب الحكيم ، فتزيد هذه الحقيقة المؤمنين الموقنين إيماناً وإيقاناً ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ إن في

ذلك الآية للمؤمنين ﴿ [سورة العنكبوت ، الآية : ٤٤] .

ومن ثم فإن القرآن الكريم والكون كل واحد منهما يشهد على الآخر ، والإنسان نفسه لا يزال يؤيد ما ادعاه القرآن قبل أربعة عشر قرناً باكتشافاته وإنجازاته العلمية المستجدة ، وحتى الآن لم يستطع أحد ولن يستطيع أبداً أن ينال من صدق أي دعوى من دعاوى القرآن ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

العمل الزوجي في النباتات : لقد تمكنت البحوث الحديثة من اكتشاف مليون وربع مليون فصيلة من الحيوانات والنباتات ، ثلثان منها هي الحيوانات والبواقي هي النباتات (١) .

أما العمل الزوجي بين النباتات فإنه يختلف منه بين الحيوانات ، وإن الله تبارك وتعالى زين الأنثى من كل نوع من الحيوان بالحسن والجمال ، لكي تتمتع باستمالة الذكور إليها ، وفي دنيا النبات يحصل ذلك في الأزهار ، والأزهار تكون ذكراً وأنثى كذلك ، ولكن عملية التلقيح فيها لا تكون مباشرة ، وإنما تتحقق بواسطة الحشرات والطيور والفراش والنحل التي تأتي إلى تلك الأزهار للأكل من حسلها ، فتؤدي - على غرة منها - وظيفة مهمة ، حيث تلتصق حبوب اللقاح POLLEN GRAINS بأرجل تلك الحشرات ، فإذا تنقلت بين الأزهار فإنها تكون سبباً في نقل حبوب الطلع إلى مبيض الأنثى فتكون مخصصة وتتحول إلى الثمر ، فسبحان من يدبر مثل هذا النظام المتقن ، ويهيئ به أرزاق الخلق !

يوجد في هذا العالم قرابة مائتين وخمسين ألفاً من أنواع الأشجار والأشبية

البعث الإسلامي  
المزهرة (١) ، والتي تحصل فيها هذه العملية بطرق مختلفة ، ومن هنا فإن الأغذية التي هي قيام للإنسان والحيوان كليهما إنما تخرج بفضل هذا الاختلاط الزوجي في النباتات ، وإذا فسدت هذه الوظيفة فإن الإنسان يحرم حتى من حبة واحدة من الحبوب ، فتبارك الله الذي يوفر الأرزاق للإنسان والبهائم بمثل هذه الطرق التي تكل دونها العقول ! ولكن الإنسان يأكل من رزق الله الذي أخرجه له ثم لا يشكر له ، يشرب من مائه الذي أنعم به عليه ثم يكفر به ويشرك به سواه ، يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم \* هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٣] .

قدرة الله القاهرة : ولا بد أن نذكر هنا حقيقتين هامتين من الحقائق الكونية الكثيرة ، والتي تقيم حجة ناصعة على وجود الخالق و وحدانيته ، أما إحداهما فهي أن الله تعالى قدر لكل نوع من أنواع الأحياء على وجه الأرض والتي تبلغ نحو مائتي ألف ومليون ، ضابطة مرسومة مختصة به ، و وهب له أعضاء تناسلية خاصة حسب ضابطته المرسومة ، ليكون كل من الزوجين متزواجاً مع الآخر وكفوئاً له ، وهذه الأعضاء النوعية والضوابط النوعية المخصصة ليست ناتجة عن النشوء والارتقاء - كما يثرثر الماديون ، وإنما هي رسوم مشرقة خلأقته تعالى وربوبيته ، فإنه مما هو ثابت عقلياً ومنطقياً أن الملائمة التي توجد بين أعضاء الزوجين من كل نوع من أنواع الأحياء ، إنها لا يمكن أن تكون تلقائياً في مادة لا تسمع ولا تبصر ، ومن ثم فإن القرآن الكريم يعتبر هذا التنوع في الأنواع ، وسنة الازدواج التي تجري في تلك الأنواع دليلاً باهراً

(1) THE NEW BOOK OF POPULAR SCIENCE, GROlier INTERNATIONAL INC, 1987, Vol.4 P.64

(1) ISSAC ASIMOV, ASIMOV'S GUIDE TO SCIENCE, PENGUIN BOOKS, MIDDLESEX, ENGLAND, VOL.4, P.304

على قدرة الله القاهرة و وسيلة للاهتمام إليه : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾ [سورة ياسين ، الآية : ٣٦] .

يقول الله تبارك وتعالى إنه خلق كل زوجين (PAIR) من جميع الأزواج المختلفة بخلق خاصة بحيث يلاءم كل زوج للآخر ، كما قال تعالى في مقام آخر : ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون \* ففروا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين ﴾ [سورة الذاريات ، الآيات : ٤٩ - ٥٠] .  
يعني أن من يشاهد هذه الضابطة القويمة فإنه ليس له إلا أن يفر إلى الله تعالى ، ولا ينكر هذه الحقيقة البديهية إلا جاحد معاند .

وجود الكرامة والعفة في النباتات : وأما الحقيقة الأخرى فهي أكثر إثارة للدهشة والاستعجاب ، وإنما هي بمثابة المسمار الأخير في نعش المادية ، وهي أنه لا يقع هناك أي خلل ولا اضطراب في عالم النباتات ، فلا يخصب أي نوع منها بلقاح نوع آخر ، رغم هذه السنة الزوجية الشاملة ، وهذا شاهد شاطح على أن هناك قوة القاهرة ويداً خفية تدبرها من وراء الستار ، وهي التي تحنظ هذه الأنواع الكثيرة من النباتات وترعاها ، وإلا كان من الأقرب أن يخصب نوع من نوع آخر تماماً ، كأن تخرج الجوارفة من شجر الأبيج ، أو الرمان في شجرة البرتقال ، أو البيايا في شجرة الموز ، أو أن تطلع أزهار الياسمين على شجرة الورد ، وقس على ذلك ، فابتعاد العالم النباتي من مثل هذه "النفولة" إنما ينبى عن عفة الحياة النباتية والتي لا تخصب إلا من لقاح نوعها ، وترفض حبوب اللقاح الأخرى ، وإن ترصلت إليها تلك الحبوب .

ينبغي أن أذكر هنا بعض التفاصيل النباتية التي تساعدنا في فهم هذه الحقيقة ، فكما أسلفنا ، أن عملية الإخصاب في النباتات تتحصل في الأزهار ، وهذه العملية لا تكون مباشرة ، ولكن بواسطة الحشرات والفراش والنحل

والذباب والهواء وغير ذلك ، فإن حبوب اللقاح التي تلتصق بأرجل أو أجنحة هذه المخلوقات الصغيرة إنها تصل إلى مبيض الأنثى من الأزهار فتكون سبباً في إخصابها وإثمارها ، وهذه العملية يطلق عليها التلقيح POLLINATION في مصطلح علم النبات ، وإن شئت أن تشاهد عجائب قدرة الله تعالى وربوبيته ، فتصور حديقة حافلة بالأشجار المنوعة والأنبتة المختلفة ، فبانك تجد هناك وسطاء التلقيح (الحشرات) تنتقل بين الأزهار المختلفة من هنا إلى هناك ، ومن هذا إلى ذاك ، وتمتص أعسالها الحلوة ، فتكون هذه الوسطاء سبباً في إيصال لقاح نوع إلى نوع آخر تماماً ، ولكن هذه الأزهار لا تخطئ أبداً ولا تأخذ إلا الحبوب التي تتصل بنوعها ، فهل تستطيع الوجهة المادية أن تفسر هذه العملية الفريدة ؟ وهل يسعها أن تحل هذه الألغوزة بدون الاعتراف بذات مدبرة منتظمة ؟ وإذا كان نظام هذا الكون ونسقه البديع تلقائياً وأوتوماتيكياً ، فما الذي يمنع شجرة المنجة من أن تنبت بالجوارفة أو شجرة الرمان من أن تنبت بالسفرجل الهندي ، هذا هو سؤال خطير يطرح نفسه على الدنيا العلمية على بكرة أبيها ويتحداها أن تأتي بتفسيره المنطقي السليم إن استطاعت ، ولن تستطيع على رغم أنفها ، ومن هنا فإن القرآن الكريم لا يسرد الحقائق سرداً عادياً ، وإنما يحدد اتجاه الفلسفة ، ويمنحها معالم مستجدة ، ليكون في ذلك إصلاح للنظر وتهذيب للفكر .

القرآن يكشف حقيقة كبرى : وقد ثبت من هذا العمل النباتي أن هذا الجانب من حياتها جانب كريم جداً حيث إنها لا تقبل لقاح أي نوع آخر غير نوعها ، وإلا سبب ذلك مشكلة كبرى للنوع البشري ، ومن أجل ذلك ، تَوَجَّه الله تعالى بشهادة الكرامة في قرآنه المجيد ، وكانت هذه الحقيقة تحت غطاء من الخفاء حتى الكشوف الحديثة ، قال عز وجل : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء \*

فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴿ [سورة لقمان ، الآية : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ أولم يروا إلى الأرض \* كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ [سورة الشعراء ، الآية : ٧] .

فإن القرآن الكريم قد استعمل هنا مركباً توصيفياً للنباتات ، وهذا المركب هو زوج كريم ، والزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى ، فإذا أريد كلا الذكر والأنثى قيل الزوجان ، وهذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، وقد استعملت مجازاً بمعنى الصنف والنوع ، فقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أي صنفان .

وقد كان العلماء قبل العصر الحديث يأخذون هذه الكلمة في معناها المجازي ، ولكن الآن قد تيسر لنا أن نستعمل هذه الكلمة في معناها الأصلي بفضل الكشوف الحديثة ، وعلى كل ، فإن الله تعالى قد أضاف هذا العمل النباتي إلى نفسه في هذه الآيات القرآنية ، ليدل ذلك على أن هذه السنة لم تكن أوتوماتيكياً أو صدفيّاً ، وإنما هي من عند الله تعالى .

القرآن أمين على أسرار الكون : إن هناك سلسلة لا متناهية من الأسرار والعجائب التي أحصاها هذا القرآن الحكيم قبل قرون طويلة ، لكي تكون تلك الأسرار تنبيهاً للنوع البشري وتذكيراً له على مر الأيام وكر العصور ، ولذا قال تبارك وتعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٦] .

وهذا العالم المادي بما فيه من الخلائق والمظاهر بأسرها سائر دائب تحت رقابة الله تعالى ورعايته من الوجهة الطبيعية ، وليس هناك شئ واحد يخرج من هذه السيطرة الشاملة أو ينسلخ من هذه الرقابة الدقيقة ، إلا الإنسان في بعض أموره فإنه قد أعطي خيرة الامتياز بين الخير والشر ، وحرية الفكر والعمل من

الوجهة الشرعية والخلقية : ﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ بل له ما في السماوات والأرض \* كل له قانتون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١١٦] .

دلائل الربوبية والتخطيط الإلهي : إن للقرآن الحكيم - كما أسلفنا - أسلوباً خاصاً في بيان مختلف الظواهر النباتية وجوانبها العديدة ، وإنه يؤكد على الإنسان أن ينعم نظره في تلك الظواهر والنظم العاملة فيها من خلال المنظار العلمي ، ويبحث عن الحقائق التي أودعها الله تعالى في هذه النظم البديعة ، لتتجلى له آيات قدرة الله وربوبيته تعالى ، فإنه يقول : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه \* إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٩٩] .

فإنه لا يوجه مثل هذه الدعوة إلا من قام بنظم هذه المظاهر المختلفة وهذا الكون البديع بكل نسق وانتظام ، ولذلك جاءت تلك الحقائق كلها طبق التخطيط الإلهي وكما ذكرها القرآن الكريم بأسلوبه المتفرد ، والإنسان نفسه يثبت حقايقه القرآنية من خلال اكتشافاته وبحوثه ، فعلم من ذلك أن هذا الأمر ليس أمراً عادياً ، وأن هذا القرآن الكريم ليس كلاماً عادياً ، وإنما هو شئ عظيم فريد من الوجهة الفلسفية ، ويجب على النوع البشري أن يهتم به ، وهو كلام لا يوجد له نظير في جميع الآداب البشرية ، حيث إن تصريحاته كلها تزداد وضوحاً وجلالة على مر الأيام في ضوء الكشوف الحديثة ، ولم يستطع أحد أن يفند منه حرفاً واحداً أو نقطة واحدة .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم صحيفة سماوية أخيرة ، حفظها الله تعالى من كل تحريف ونسخ ، وهو كلام حق يصدق على محك العلم والعقل ، ويسدد فكر الإنسان في كل عصر ، ويمهده إلى معالم العلم والفلسفة المستجدة ، ومقالة اليوم ليست إلا بمثابة نحة خاطفة عن بعض الظواهر النباتية ، وسوف

تعرض لها بمزيد من التوسيع في المقالات الآتية - إن شاء الله تعالى - ، وأخص منها ما يوفر دليلاً علمياً ظاهراً على وقوع القيامة ، وهي بمثابة سوط للإنسان المتناغم .

صحيفة عظيمة خالدة : والواقع أن النظر العميق في عالم النبات يشير إلى قادر ذي قوة خارقة ، وإلا فأنى له هذا التنسيق والتخطيط ، وهذا الحسن والبهجة ، وهذه الحكمة البالغة ، ومثل هذه الدراسة يكون ترسيخاً للإيمان في النفوس ، وفي الواقع أن العالم الطبيعي أمكن من أن يصبح موثقاً صادقاً ، ولا يمكن ذلك إلا إذا قام بالتطبيق بين الدين والعلم ، أما الفصل بينهما فإنه يكون سبباً للعواقب الوخيمة ، ولا يتقدم المجتمع الذي يفرق بينهما في مضمار السبق أبداً .

والقرآن الكريم هو دليلنا في هذا الطريق ، وهو الذي يدعو الإنسان إلى القيام بالتفكير المحايد في نظام الكون واستنباط النتائج السليمة في ضوء وجهة عادلة متزنة ، ومن أبهر الإعجاز القرآني أنه يقوم بهداية النوع البشري حسب المتطلبات المتغيرة من عصر لآخر ، والواقع أن القرآن الكريم ذلك الكتاب العظيم دائم النضرة والطلاوة ، حيث إنه أودع كفاءة التوجيه والإرشاد وفق نفسية المصور المختلفة إلى الأبد ، والحقائق المكونة في غضون لا تزال تُباغِت النوع البشري عبر العصور والأزمان ، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف : "ولا تنقضي عجائبه" (١) .

## أدب و أسلوب :

### عناصر الأسلوب

### القرآني ومقوماته

بقلم : الدكتور عبد الماجد الكشميري الندوي

الأسلوب عبارة عن صورة الكلام الفنية أو طابعه الخاص أو مزاجه

الشخصي الذي تهيأ له برعاية صاحبه لجملة الأحوال ومناسباتها في هذا الكلام (١) وبعبارة أخرى هو صياغة تتجلى فيها المعاني المرتبة والألفاظ المنسقة ، والبيان اللغوي حيث إنه صور فكرية لصاحبه ، صناعة موادها من المفردات وقواعدها التركيبية واحدة ، ولكن البيان يختلف بعد ذلك باختلاف الطرائق والأساليب وباختلاف الأذواق والمواهب ، إننا هنا بصدد دراسة أسباب الجمال المودع في الأسلوب القرآني التي سبق بها جميع الغايات في المضمار البياني .

من مقومات الأسلوب القرآني التناسق الفني ولعلها هي الظاهرة التي عبر عنها الباقلاني والخطابي والجرجاني بالنظم والتأليف ، وشيدوا بدوره في تحسين الأسلوب ، والتناسق الفني عبارة عن الملاءمة بين المعاني والألفاظ والأساليب ، وهي الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ، حيث يتجلى جمال لغة القرآن في هذا الترتيب الجامع بين الائتلاف والاختلاف واللين والشدة والخشونة والجهر والخفية حسب مقتضى المجال والظروف الكلامية ، والحرف الواحد من النظم القرآني هو الوحدة الأساسية في الجمال الصوتي ، ولذلك يقول ابن عطية : "لو نزع منه -

توجد" (٢) .  
والتناسق الفني - الذي امتاز به الأسلوب القرآني وبلغ ذروته - له درجات وألوان ، منها : التناسق اللفظي ، وهو عبارة عن الجمال الذي يتجلى في تأليف العبارة بتخير الألفاظ ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ أرقى درجات في الفصاحة ، ودراسة اللفظ تحتل مكانة مهمة في العمل الأدبي ، وقد اهتم العرب بتخصيص دراسات في فقهها وغريبها ودخيلها وأضدادها وحروفها ، والشروط التي وضعت لحسنها وفي خصائص لفظة القرآن التي تجاوزت الخصائص العامة للكلام العربي .

وحيث إن اللفظ هي الوحدة الفنية البيانية الأساسية في بناء الأسلوب فلنبداً بدراسة اللفظ في الأسلوب القرآني .

إن اللفظة القرآنية متناسقة فنياً وبعبارة أخرى ، إنها تمتاز بمزايا توازن الحروف وائتلاف مخارجها وتناسب أصواتها ، كما أنها أتم تحديد للمعنى المراد ، ومعنى ذلك أن هناك ناحيتين لدراسة اللفظ : الناحية اللغوية الدلالية ، والناحية الصوتية الموسيقية ، وبناء على ذلك يتفرع التناسق اللفظي إلى التناسق المعنوي والتناسق الصوتي .

التناسق الصوتي : إن الألفاظ عند سماعها أو قرأتها تحدث حركة ذهنية بها يتصور المعنى في العقل ، والدقة في اختيار الكلمات تتطلب ملاحظة الصلة المعنوية بين اللفظ وسياق العبارة ، لأن لكل لفظة مع صاحبها مقاماً ولأن هناك فاعلية قوية تكمن في اللفظ إذا تم نسقه ونظمه بطريقة تتجاوب مع المعاني ، والمطلوب من وراء الألفاظ ليس شيئاً غير المعاني التي حددت وتم استقرارها في ذهن أصحابها من وراثته أو تلقين ، غير أنها قد تتخطى إلى أوسع

من الحدود المرسومة لدلالاتها .

إن أول ما يتسم به الأسلوب القرآني هو الفخامة والقوة والروعة التي يكتسبها من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال ، والتي هي صور صادقة للمعاني ، إذا اشتدت فكأنها أمواج البحار المتلاطمة ، وإذا لانت فكأنها هبات الصبا العليقة البليلة (٣) ، إنه يتأنق دائماً في اختيار ألفاظه ، مراعيًا الفروق الدقيقة في دلالاتها ، فينتقى الألفاظ الجامعة التي هي بطبيعتها اللغوية أتم تحديد للغرض ، وكل لفظة حواها الأسلوب القرآني وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء مع بعثها في النفس من إيجاءات خاصة (٤) .

وفي القرآن أمثلة كثيرة من الألفاظ التي تضمنت بعثاً قوياً وإيجاءاً شديداً للمعاني المقصودة ، كما أن هناك عدداً كبيراً من الألفاظ التي تصور بعض المعاني بحروفها (٥) ويلاحظ من دقة التمييز بين معاني الكلمات تفرقه بين يعلمون ويشعرون وما شاكلها في مواضعها من الفواصل .

#### الناحية الصوتية الموسيقية من اللفظ القرآني :

رغم أن اللغات تتفاضل من حيث هي بيان أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام ، ولكن الحقيقة الفنية الكبرى هي أن الجرس الصوتي له أهمية فنية جمالية لا تستهان في حال من الأحوال ، وحيث إن هيئة منطق اللفظ وأوزان الكلمات وأجراس الحروف هي التي تصطدم بالأسماع دون ما عداها ، وهي المادة الأولى في إثارة الانفعال النفسي ، فهي ناحية جميلة ومهمة من أسلوب القرآن وتستحق منا عناية لائقة .

والتناسق الموسيقي أو الانسجام الصوتي عبارة عن الإيقاع الموسيقي الذي ينشأ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص تؤلف فيه العبارة من كلمات متسقة ذات حركات وسكنات يتجلى فيها جمال النظم الصوتي الذي

يشعر به المرء ، وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شئ يضرب على أوتار النفس ، لأنه يرجع إلى الذوق الموسيقي في حروف اللغة وأجراس نغمها .

والانسجام في النظم والموسيقى اللفظية تكيف الأسلوب وتساعد على الإيحاء ، وللتناسق الموسيقي صلة بالنفس وأثره طبيعي في استهوانها ، ومن خلاله بلغ القرآن وأبلغ وأبعد ما تبلغ إليه اللغات في هز الشعور واستثارتها من أعماق النفس (٦) ، يقول سيد قطب : "والروح الداخلي في موسيقى الحروف والألفاظ مرده إلى خصائص غامضة في جرس الحروف والكلمات ، يدركه من يقرأ التعبير القرآني في حساسية وإرهاق" (٧) .

وانفرد القرآن بحفاظه على تناسقه الإيقاعي في بناء نظمه ، فالحركات فيه مؤتلفة مع أصوات الحروف متناسقة معها في النظم والموسيقى وغاية ذلك أنه قد يتجمع الحسن حول حرف واحد في الآية وتصادف اللحظات الشعورية القوية عند القارئ ، وتبلغ غايتها في إثارة الوجدان والانفعال النفسي ، يلاحظ ذلك على سبيل المثال في الكلمات التي وردت مواضعها من النظم القرآني : ﴿ فدمدم ﴾ في قوله سبحانه : ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾ (٨) و ﴿ شواظ ﴾ في قوله : ﴿ يرسل عليكم شواظ من النار ﴾ (٩) .

وهكذا توحى الألفاظ القرآنية بالفكرة التي انطوت عليها بطريقة استعمالها ووجه تركيبها وتلفت الذهن إلى ما وراءها من معان مقصودة وصور ملحوظة (١٠) ، ولم يستعمل القرآن "الأرجاء" و "الألباب" و "الأكواب" إلا بصيغة الجمع لسهولةها وعدوبتها جمعا ، ولم يستعمل "الأرض" إلا بصيغة المفرد لجمالها وتناسقها مفرداً وبنوها وتنافرهما جمعا ، وعلى هذا الصعيد من الفن يتلاقى التناسق الصوتي مع التناسق النفسي ، ونستطيع أن

نلاحظ دقة الميزان الذي وضع عليه الأسلوب القرآني ، وهي ظاهرة أسلوبية بارزة لا تخفى على الدارس المتأمل ، ولا تحتاج إلى تلقين أو تأويل (١١) .

وقد بان لنا من مجموع ما أسلفنا أن الأسلوب القرآني يكتسب قوته من قوة ألفاظه وموسيقاها ، وأن الألفاظ القرآنية متلائمة ومتآخية مع المعاني ومنسجمة ومتسقة بالنظم ، ولا يقتصر جماله في المفردات وحدها بل إن جمال الأسلوب في وجوه تأليفها وطريقة نظمها (١٢) فالصوت والمعنى والنظم يشكل وحدة فنية متناسقة بلغت ذروتها في الجمال والروعة ، يقول الأستاذ سيد قطب : "... وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق ، فمن نظم فصيح إلى سرد عذب ، إلى معنى مترابط ، إلى نسق متسلسل ، إلى لفظ معبر ، إلى تعبير مصور ، إلى تصوير مشخص ، إلى تخييل مجسم ، إلى موسيقى منغمة ، إلى اتساق في الأجزاء ، إلى تناسق في الإطار إلى افتنان في الإخراج ، وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز" (١٣) التصوير الفني : من مقومات الأسلوب القرآني التصوير الفني ، والقرآن لا يلقي بالمعنى جامداً مرتجلاً ، بل يتناول بالاعتبار وسائل تعميق مجراه وغرسه في النفس الإنسانية ، وأقرب فنون التعبير إلى بحوث علم الجمال هي النواحي التصويرية وذلك لأن تصوير الأمر المعنوي في صورة الشئ المحسوس يزيده تمكنا من النفس وتأثيراً فيها ، والفضيلة البيانية إنما تعتمد في إجادة التعبير عن المعنى كما هو بدقة التصوير ، ولذلك مال الأسلوب القرآني إلى ناحية التصوير وأصبح عنصراً أساسياً منه ، والتصوير الفني أصدق أداة لجمال التعبير ، إنه يجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، والقرآن بدقة تصويره الفني يجسم المعنى ويهب للجماة العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس حتى يصور المنظر للعين وينقل الصوت للأذن ، ويجعل الأمر

المعنوي ملموساً محسوساً ، إنه كثيراً ما يحكى نص القول وينقل الحوار بعثاً للحياة في الأسلوب ، لأن الحوار ينقل الحقيقة مصورة مع ظروف الكلام (١٤) .

إن الأسلوب القرآني يعبر عن المعاني التجريدية بألفاظ تدل على المحسوسات التي تنبض بالحياة والتي هي بطبيعتها صور حية للمعاني (١٥) . يلاحظ ذلك على سبيل المثال في وقع كلمة : "تنفس" في قوله تعالى : ﴿ وَ الصبح إذا تنفس ﴾ (١٦) وفي "يموج" في قوله : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ (١٧) ، إن كل عبارة لغة فنية موجزة تحمل صورة صادقة مؤثرة للمعنى .

ولقد كان الفضل الأكبر للأستاذ سيد قطب الشهيد رحمه الله في إنارة هذه الناحية المشرقة من الأسلوب القرآني ، ودراساته في الناحية الفنية من القرآن تكشف الغطاء عن أسرار الجمال الفني في الأسلوب القرآني ، فقد طرح القضية للبحث وفقاً للمقاييس الفنية الحرة وتعرض لها بجدادة علمية تامة ، وتناول الموضوع بدراسة فنية تحليلية تقنع البحث العلمي ، واستخلص إلى توجيه هذا الجانب المهم من أسلوب القرآن الكريم .

التناسق الموضوعي أو العلاقة بين الموضوع والأسلوب :

إن هناك صلة قوية بين الأسلوب والموضوع ، ولذلك تختلف أساليب الكلام ومناهجه تبعاً للموضوعات التي يجري فيها الكلام ، ولاختيار عناصر الموضوع قيمته في التأثير على النفس الإنسانية ، وليس رونق اللفظ وحده هو الذي له السلطان على النفوس ، ولكن لجوانب المعاني التي عولجت ، وعلاقتها بالعواطف الإنسانية و الغرائز البشرية أثر في السيطرة على الأفتدة (١٨) .

هناك نوعان مختلفان للأسلوب القرآني ، وطبيعة المواضيع نفسها تتطلب أن يكون كذلك ، الأول : موسيقى رنانة تتجه إلى المشاعر والعواطف وتندفع وتندفق في جمل قصيرة مثيرة بذلك الانفعال السريع العنيف ، حيث يضطر معه القارئ إلى الإسراع ، لأنه يؤدي إلى معان يحتاج أداؤها إلى القوة والعنف ، وذلك حيث يتطلب هجوم الحق على الباطل هذا العنف والشدة ، والثاني : متسلسل هادئ عندما يتطلب الأمر هدوءاً وتأملاً في المواضيع الفكرية التي تتطلب الدراسة و البسط و التريث ، و يضطر القارئ معه إلى الأناة والتمهل (١٩) .

ولا غرابة إذاً في أن تختلف مذاهب القول في القرآن باختلاف الموضوعات وظروف الكلام ، وإنما الغرابة في التزام مذهب واحد في كافة مجالات القول في التشريع والقصاص ، والتبشير والإنذار ، وهذا التنوع في مذاهب القول وأساليب البيان بتنوع الموضوعات والمقامات هو الذي يسميه علماء البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ومع ذلك للأسلوب القرآني وحدة فنية في تسلسل الأسلوب من الناحية الفنية ، و وحدة موضوعية غائية من حيث دعوته إلى أصول معينة .

### التسلسل الفني :

الأسلوب القرآني نمط واحد في جماله وقوته : لكل كاتب وأديب اتجاه خاص في أسلوبه وإنتاجه ، لأنه إنما يضع قطعة من عقله و وجدانه في إنتاجه وبيانه على الصورة التي تهديه إليها فطرته ومواهبه ، وحيث إن الناس تختلف درجاتهم في هذه الوسائل ، فلا بد أن تختلف طرقهم في التعبير عن ضمائرهم ، ولذلك نرى الأديب إذا خرج من نطاق موضوع تخصصه وحاول الكلام في المجالات الأخرى لان أسلوبه وعجز فنه ، وفقد ذاتيته وشخصيته المعنوية ،

وخير ما يعبر عن هذه الظاهرة ما قيل : إنه ضرب المثل في القدرة القادرة على الإجابة بامرئ القيس إذا ركب والنايعة إذا رهب وبزهير إذا رغب (٢٠) ، وهؤلاء من الطراز الأول في صناعة الشعر ، ولكن لكل منهم مجال يخصه ، إذا خرج منه مجرد من فنه الذي عرف به ، وهكذا إذا سرحنا الطرف إلى الآداب العالمية الأخرى ، وجدنا هذه الظاهرة تتحكم فيها كذلك ، فالدارس في حكم سعدي الشيرازي ، وإصلاحياته يتناسى نفسه وما حوله لبلاغة فنه في هذا المجال ، ولكنه لو حاول أن يقرض في الملاحم لم يأتنا إلا بالإسفاف والركيك المتبدل ، والمطالع في ملاحم الفردوسي تملكه الروعة البيانية والوصف البارع الدقيق لكل ما يجري في ميدان المعركة كما لو أنه يشاهد فيلماً سينمائياً ، ولكن الفردوسي لا يحسن في الغزل أو المواضيع الإنشائية الأخرى ، وهكذا أمر الحافظ الشيرازي بلغ فنه غاية الجمال في الغزل والتشبيب ، ولكنه لا يستطيع أن يواجه السعدي والفردوسي في مجاليهما لطول باعهما فيهما ولضالة بضاعته فيهما (٢١) .

والأسلوب القرآني نمط واحد في القوة والإبداع على جميع ما يتصرف فيه من الوجوه ، لا يؤخذ عليه شيء من التخاذل والتفاوت في نظام المبنى ودقة المعنى ، وتمام الوحدة الفنية وذلك لأن البلاغة والجمال الفني في القرآن ، إنما هي وجه من نظم حروفه اختلطت به اختلاط اللحم والدم (٢٢) بخلاف البلغاء من بني البشر فإنهم سباقون حيناً وذوو كبوات قاصمة أحياناً .

إن الأسلوب القرآني متماسك الكلمات مترابط الأجزاء في الجمل والآيات والسور مع طول نفسه وإفاضته واستطراده وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد أحياناً ، ولا تقل براعته مهما تفنن في أداء المعنى الواحد بالفاظ وطرق متعددة بين إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار وتكلم وغيبة

وخطاب ومضى وحضور واستقبال ووصف وامتنان و وعد وعيد ، إن هذه الوحدة الفنية البيانية والتماسك مع هذا التنوع في المقاصد ميزة الأسلوب القرآني (٢٣) .

### الصورة الفنية للأسلوب القرآني :

لو كان الأسلوب القرآني صورة مألوفة من نثر العرب لما اضطرب العرب في أمره ذلك الاضطراب الذي سجله ونقله التاريخ ، حتى قالوا عنه مرة : إنه شعر ، وأخرى : إنه سحر ، وثالثة : إنها كهانة ، ورابعة : إنها أساطير الأولين ، وخامسة : إنه من تعليم الأعجميين ، إن هذا الاضطراب لا يقع في شيء مألوف ولا في شيء طرائقه معروفة .

والأسلوب القرآني في أداء المعاني مقصور على نفسه لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ، لم يستطع أحد أن يحاكيه أو يحذو حذوه أيام نزوله ولا بعده ، وعجزت عن مجاراته عقول البشر وأقلامهم قديماً وحديثاً ، إنه في تركيبه الخاص ليس شعراً لأنه لا يتقيد بقيود القافية والأوزان الموحدة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة ، إلا أنه أخذ من الشعر جماله وامتعه من الموسيقى الداخلية والفواصل المتقاربة في الوزن وإيقاعه الرخي المنساب وأخذ من النثر جلاله وروعته وتعبيره الدقيق (٢٤) ومن الخطابة قوته وجرسه ، وبذلك جمع بين مزايا النثر والشعر والخطابة ، واعتلى ذروة النثر الفني وأصبح منهل البلاغة والبيان .

ذهب الدكتور طه حسين إلى أن القرآن : ليس شعراً وليس نثراً وإنما هو قرآن (٢٥) ، وعلق عليه الأستاذ سيد قطب وانتقده بقوله : لسنا بحاجة إلى اللعب بالعبارات ، فالقرآن نثر متى احتكنا للاصطلاحات العربية كما ينبغي ولكنه نوع ممتاز مبدع من النثر الفني الجميل المتفرد (٢٦) .

والأسلوب القرآني له مزاج خاص من نثره الفني في الوصل والفصل والإيجاز والإطناب والانتلاف والاختلاف ، ولقد كان نثر العرب في الجاهلية خطباً وأمثالاً وحكماً وأسجاعاً ومحادثات ومناظرات ، وكان كل من هذا يجري على أسلوبيين : نثر مرسل أو سجع ملتزم ، والأسلوب القرآني تارة يشبه السجع من غير اعنات للمعنى وطوراً يشبه المرسل وأخرى لا يشبه هذا ولا ذاك (٢٧) ، وهو في كل ذلك يخالف ما ألف الناس من السجع والإرسال ، لأن فواصله طليقة من كل قيد وتركيبه حر من كل صنعة ، وألفاظه بمعزل عن كل تعقيد .

الهوامش :

- (١) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط/٣ ، ١٣٧٣هـ : ج/٢ ، ص/٣٠٢ .
- (٢) نفس المصدر : ص/٢٢١ .
- (٣) أحمد البدوي : من بلاغة القرآن ، مكتبة نهضة مصر ، ط/٢ ، ص/٢٤٤ .
- (٤) محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ، مصر ، مطبعة السعادة ١٣٧٩هـ : ص/١٣١ .
- (٥) هل إن للحروف بمفردها قيمة تعبيرية ؟ اختلف علماء اللغة في ذلك ، فذهب ابن جني وبعض المتقدمين إلى إثبات ذلك ، ولكن اللغويين الجدد لا يرون للحرف الواحد مزية تعبيرية ويغرون المذهب القائل بذلك إلى آثار الفلسفة اليونانية .
- (٦) مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن ، مراجعة وضبط سعيد العريان ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط/٢ - ١٣٨٩هـ : ص/٢٤٥ .
- (٧) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، القاهرة ، دار لمعارف بمصر ، ط/٣ : ص/٩٦ .
- (٨) سورة الشمس ، الآية : ١٤ .
- (٩) سورة الرحمن ، الآية : ٣٥ .

(١٠) سيد قطب : المصدر السابق : ص/٧٥ .

(١١) الدكتور صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط/١٧ ١٩٨٨م : ص/٣٢٧ وما بعدها .

(١٢) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط/٨ ١٤٠٣هـ : ص/١٩ .

(١٣) سيد قطب : المصدر السابق : ص/١١٨ .

(١٤) أحمد البدوي : المصدر السابق : ص/٢٤٥ .

(١٥) الدكتور عبد الله دراز : المصدر السابق : ص/١٠١ .

(١٦) سورة التكويد ، الآية : ١٨ .

(١٧) سورة الكهف ، الآية : ٩٩ .

(١٨) أحمد البدوي : المصدر السابق نفسه : ص/٢٣٥ .

(١٩) الدكتور طه حسين : إسلاميات ، بيروت ، درا الآداب ، ط/١ ١٩٦٧م : ص/٨٤ .

(٢٠) الباقلائي : إعجاز القرآن ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤٩هـ : ص/٤٠ و ١٦١ .

(٢١) هذه المقارنة مستفادة من كتاب رحمة للعالمين بالأردنية - للقاضي محمد سليمان المنصورفوري .

(٢٢) الباقلائي : نفس المصدر السابق : ص/٤٠ .

(٢٣) محمد عبد العظيم الزرقاني : المصدر السابق : ص/٢١٨ .

(٢٤) سيد قطب : المصدر السابق : ص/٨٦ .

(٢٥) طه حسين : المصدر السابق : ص/٨٤ . (٢٦) سيد قطب : نفس المصدر : ص/٨٧ .

(٢٧) عبد المتعال الصعيدي : دراسات قرآنية ، مطبعة الاعتماد بمصر ، دار الفكر العربي : ص/١٥٠ .

(STRESS) والتنغيم (INTONATION) من المقاطع والجمل أيضاً تختلف اختلافاً باتناً و واضحاً في اللغتين .

ومما يوقع الناس في التباس كبير أن ٢٨/حرفاً من بين ٣٦/حرفاً هجائياً للأردنية عربية شكلاً ورمزاً ، وفارسية أو هندية صوتاً ونطقاً ، وفضلاً عن ذلك فإن ٢٨/حرفاً من تلك الحروف الهجائية الأردنية لا تمثل في حقيقة الأمر إلا ٢٠/وحدة صوتية (PHONEME) ، وأما الثمانية الباقية ، و هي : (ث ، ح ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، ق) فهي مجرد رموز بلا وحدات صوتية مميزة ، في حين أن كل حرف من الحروف الهجائية العربية يمثل وحدة صوتية مستقلة ومميزة ، فلكل منها رمز صوتي مستقل ، ومن هذا يتضح مدى مقدرة نظام الأبجدية العربية على التمييز بين الحروف المتشابهة كالسين والصاد ، والشاء والذال (٣) ، أما الأردنية فتتقصها هذه الميزة ، وتدل على ذلك المقارنة التالية:

الحروف	في العربية	في الأردنية
ذ ، ظ ، ز ، ض	تشكل ٤/وحدات صوتية مختلفة النطق والصفات	تشكل وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "ز"
ث ، س ، ص	تشكل ٣/وحدات صوتية مختلفة النطق والصفات	تشكل وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "س"
ت ، ط	تشكلان وحدتين صوتيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "ت"
ع ، أ	تشكلان وحدتين صوتيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "أ"
ح ، هـ	تشكلان وحدتين صوتيتين مختلفتين النطق والصفات	تشكلان وحدة صوتية واحدة تشبه صوت : "هـ" (٤)

## العربية المتأثرة بالأردنية

[٢١]

معلم : الأستاذ شهيد الله فضل الباري

وبعد هذه

الإشارة الجانبية

إلى الخلفية الماضية والحاضرة للعربية والأردنية في شبه القارة ، نعود إلى صلب الموضوع ، ونقول إن تحليل نماذج التعبيرات العربية الشفهية والكتابية للأساتذة والطلاب المتأثرين بالأردنية يثبت التأثيرات التالية :

١- التأثير الصوتي . ٢- التأثير الدلالي . ٣- التأثير البنيوي .

٤- التأثير الإملائي . ٥- التأثير الأسلوبي .

وسوف نوضح طبيعة هذه التأثيرات حسب التسلسل مع إيراد أسبابها

وشواهدا في الصفحات القادمة .

١- التأثير الصوتي : تتشابه الأردنية العربية تشابهاً شكلياً في الصوائت

والصوامت رغم وجود فرق واضح بين اللغتين في عدد رموز تلك الصوائت

والصوامت ، إذ أن عدد الصوائت الأساسية (VOWELS) القصيرة والطويلة ،

والصوائت المركبة (DIPHONG) للغة العربية يبلغ ٦ و ٢ على التوالي ، وعدد

صوامتها (CONSONANTS) يبلغ ٢٨/صامتاً (١) ، في حين يبلغ عدد الصوائت

الأساسية القصيرة والطويلة للأردنية ٨ أو ١١/صائتاً ، وعدد صوامتها

المركبة ٢/ ، أما عدد صوامتها فهو ٣٦/صامتاً (٢) .

وإلى جانب هذا الفرق في العدد يوجد هناك فرق كبير بين اللغتين في

طبيعة تلك الصوائت والصوامت وصفاتها من المد والقصر والإمالة والجهير

والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح ، والاستعلاء والاستفال

والذلاقة والإصمات وغيرها من الخصائص والصفات ، كما أن مواقع النبر

ومن الغريب أن الغالبية العظمى من الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها يفرقون بين نطق "ض" و "ظ" في تلاوة القرآن الكريم ، ولكنهم لا يفرقون بينهما في قراءة النصوص غير القرآنية أو المحادثات ، فينطقونها مثل : "ز" ، وبذلك يقضون على صوت مميز وهو "الضاد" التي سميت العربية لأجلها بـ "لغة الضاد" .

وشئ آخر يستحق الانتباه وهو أن ترقيق الصوت وتفخيمه لهما أثر كبير في تغيير معاني الكلمات في العربية دون الأردنية ، ويعني ذلك أن الفشل في نطق الصوامت العربية بجميع أوصافها يتسبب في حدوث التباس وارتباك كبيرين في تحديد مدلول الكلمات وفهمه ، فالقلب والكلب ، أو الطابع والتابع ، أو الظليل والذليل ، أو الصبر والسبر ، لن يتوضح معنى كل كلمة من هذه الكلمات إلا بعد التفريق بين تفخيم حروفها الأولى وترقيقها عند النطق ، وبما أن الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها لا يحسنون التفريق بين هذين الوصفين لعدم امتياز الأردنية بهذين الوصفين فيقعون في حرج كبير أمام العرب ، واذكر زميلاً بنغالياً حصل على الدكتوراة في الأدب العربي من إحدى جامعات بنغلاديش وقع في مثل هذا الحرج أمام طالب سعودي جامعي عندما نطق : "الجاحظ" مثل : "الجاهز" !

ويتبين مما ذكرنا أن الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها متعودون أو مجبولون على الأصوات الأردنية بالإضافة إلى الخداعهم من مظاهر التشابه بين العربية والأردنية في الأصوات ، والرموز فيخلطون بين الأصوات العربية والأصوات الأردنية ، ويقدمون نماذج عربية شفوية أقل ما يقال عنها إنها عربية متأثرة بالأردنية ، وتخرج - طبعاً - من هذا التعميم أصحاب الذوق والمهارة والسليقة والملكة اللغوية الفائقة ، وما هم إلا قلة قليلة ، لأن هذا المستوى

"لا يتاح إلا بالمران والدربة الطويلة ، ومعايشة أصحاب اللغة في بلادهم ومعايشتهم ، كما أنه يستلزم أن تكون لدى المرء حاسة لغوية دقيقة تلتقط الفروق النافهة وتمرن عليها" (٥) .

## ٢- التأثير الدلالي :

استعارت الأردنية نصيب الأسد من مفرداتها ومصطلحاتها العلمية والدينية من العربية ، وقيل : إن ما يقارب من ٧٥٪ من مفردات الأردنية يتألف من كلمات عربية الأصل (٦) ، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الأردنية ، فاكسبت أصواتها وأوزانها ، وأساليبها الدلالية ، لأنه : "من المقرر أن الكلمات المقتبسة تخضع للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فتشكل في الصورة التي تنفق مع هذه الأساليب ، وينالها من جراء ذلك بعض التحريف في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها" (٧) ، فمن اليدهي أن يكون هذا التحريف بائناً في التعابير العربية الشفهية أو الكتابية للناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها .

ولكي نتعرف على طبيعة التأثير الدلالي للأردنية في العربية نجدد بنا أن نلقي نظرة فاحصة على المفردات العربية التي استعارتها الأردنية ، وأن نحلل مدلولاتها الثابتة والمتغيرة ، فيمكننا أن نصنف المفردات الأردنية المقتبسة من العربية ضمن المجموعات التالية :

أ- مجموعة المفردات التي لم يتغير مدلولها العربي .

ب- مجموعة المفردات التي تغير مدلولها العربي .

ج- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها العربي القديم .

د- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها الاصطلاحي .

هـ- مجموعة المفردات التي أصبحت غريبة أو مزوكة الاستعمال .

أ- مجموعة المفردات التي لم يتغير مدلولها العربي :

توجد في الأردنية طائفة من المفردات العربية التي لم يتغير مدلولها العربي الأول ، فهي مشتركة بين العربية والأردنية في المعاني الأساسية أو الوضعية ، مثل : "قلم" ، "دواة" ، "وقت" ، "تاريخ" ، "خبر" ، "محبة" ، "صبر" ، "مال" ، "عزة" ، "احترام" ، "إصلاح" ، "ترجمة" ، "زيادة" ، "موسم" ، و "مسلم" و "مؤمن" وغيرها من المفردات ، وهذه المجموعة من المفردات لا تشكل أيّ التباس أو ارتباك في تعيين مدلولها إذا أطلقت على حقيقتها ، فهي أقل المفردات تأثيراً في الدلالة العربية .

غير أن هناك أمراً خطيراً لا ينبغي أن يغيب عن بالنا ، وهو أن معنى الكلمة يتعدل تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها ، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزعها اللغوي (LINGUISTIC DISTRIBUTION) ، كما أن للكلمات معاني إضافية كثيرة غير معانيها الأساسية (٨) ، وهذا الجانب قد يغيب عن بال الناطقين بالأردنية خاصة أولئك الذين يكتفون بالمعنى المعجمي (LEXICAL MEANING) للمفردات ، فلا يحسنون صياغة العبارات العربية ، ولا يقدرّون على حسن استخدام المفردات .

ب- مجموعة المفردات التي تغير مدلولها العربي في الأردنية :

نجد في الأردنية مجموعة كبيرة من المفردات المستعارة من العربية قد تغير مدلولها في الأردنية ، مثلما حدث في الفارسية والتركية (٩) ، وهذا أمر طبيعي : "لأن المعاني لا تبقى على حال واحدة ، بل هي دائمة التغير وإن كان تغيرها بطيئاً يمر في أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر ، كذلك نرى تغير المعاني مقصوراً

على البعض دون البعض الآخر" (١٠) ، فهذه المجموعة من المفردات عربية المادة والاشتقاق ، وأردنية المفهوم والمدلول ، ولكن الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها الذين ترسخ في أذهانهم المدلول الأردني لتلك المفردات ، ولا يعرفون مدلولها العربي الأول ، يحسبون أنها متحدة المدلول ومتساوية المفهوم في العربية والأردنية ، فيستعملونها في الإنشاء العربي للدلالة على ما يفهمونه منها في الأردنية ، فتأتي تعابيرهم مشحونة ومتأثرة بالدلالات الأردنية ، و مخالفة لما يألفه العرب من المعاني والمفاهيم ، لو نظرنا إلى القائمة التالية ليتجلى لنا الأمر :

المفردات	مدلولها العربي (١١)	مدلولها الأردني (١٢)
تقرير	إثبات/تحديد/اتخاذ القرار	خطاب/كلمة (SPEECH)
تهذيب	إصلاح/تثقيف/تربية	الحضارة/المدنية
محكمة	مكان انعقاد هيئة الحكم	إدارة/مصلحة (DEPARTMENT)
الزام	إجبار/إكراه/تكليف	اتهام/ادانة/افتراء
ملتوي	غير مستقيم/منحني	مؤجل (POSTPONED)
مقابلة	مواجهة/اجتماع	منافسة/مساابقة
غصة	هم/حزن/ما يعترض في الحلق	غيظ/غضب
زخم	دفع/قوة	جرح/أقرح
محنة	ابتلاء	جهد/كد
جلوس	قعود	مسيرة/موكب
زحمة	زحام/ازدحام	عناء/مشقة
إدارة	تدبير/تصريف/مصلحة	معهد/مؤسسة (INSTITUTE)
غريب	غير معروف/أجنبي/عجيب	فقير

ويتضح من هذه القائمة بأن كل لفظ عربي المدلول والمادة والاشتقاق ليس من الضروري أن يكون عربي المدلول والمعنى في اللغة الأردنية ، ولكن الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها لا يدركون هذه الحقيقة ، وقد سمعت خطيباً شهيراً في بنغلاديش - له حظ وافر من اللغة العربية - استخدم كلمة : "جلوس" مكان الموكب والمسيرة في خطبته ، و أذكر كذلك مواطناً باكستانياً استعمل كلمة : "ملارم" ، ثم ضحك عليه واستهزئ به عندما عُرِف المعنى الحقيقي الذي قصد به المواطن الباكستاني المذكور .

ج- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها العربي القديم :

استعارت الأردنية من العربية مجموعة كبيرة من المفردات التي اكتسبت على مر الأيام معاني جديدة في العربية ، ولكنها بقيت على معانيها القديمة في الأردنية ، واكتساب الكلمات معاني جديدة إلى جانب معانيها الأساسية القديمة ظاهرة لغوية مسلم بها عند اللغويين ، فقد صرح أحد اللغويين الغرب بأن : "نفس الكلمات - بسبب تطور اللغة خلال مرور الزمن - تكتسب معنى آخر ، وتشرح فكرة أخرى" (١٣) ، وقال لغوي غربي آخر : "في المخترعات والاكتشافات الحديثة نحن نستعمل ألفاظاً قديمة لمعان حديثة ، ولذا يتغير المعنى" (١٤) ، واعترف بهذه الظاهرة لغوي عربي شهير قائلاً : "وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة مثل المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والدبابات والتسجيل والجراند والصحف" (١٥) .

واليكم بعض المفردات من هذه المجموعة :

كلمة	المدلول اللغوي القديم	المدلول المحدث
صوت	اللحن/كل ما يسمع/سمعة	الرأي (Vote)

كلمة	المدلول اللغوي القديم	المدلول المحدث
صندوق	وعاء خشبي أو معدني/خزينة	منظمة أو مؤسسة
مصلحة	صلاح/منفعة/خير	تدير أموالاً (Fund)
خدمة	سد حاجة الغير أو نفع الغير	هيئة إدارية فرعية
دائرة	حلقة/نطاق/مجال	تتولى مرفقاً عاماً
صورة	شكل/نوع/حالة	وظيفة/عمل حكومي
فصل	موسم/فرع/جزء	إدارة/مصلحة/قسم
هيئة	وضع/كيفية/شكل	نسخة (Copy)
استعداد	ملكة/سليقة	أحد أقسام المدرسة/الصف
شهادة	بينة	الجمعية/سلك/منظمة
		أخذ العدة/تهينة
		إجازة/سند (Certificate)

وأما سبب انحصار هذه المفردات على مدلولها القديم في الأردنية فيرجع إلى الفترة التي اقتبست فيها تلك المفردات من العربية ، وغني عن التذكير بأن تلك الفترة لم تكن قد اكتسبت فيها المفردات المذكورة معانيها الجديدة التي لحقت بها في الفترة المتأخرة ، فلم يمكن تسجيل هذه المعاني الجديدة مقابل تلك المفردات في القواميس الأردنية ، أو في القواميس العربية الأردنية المدونة آنذاك ، وبما أن المهتمين بالعربية من طلاب المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية يستعينون بمثل هذه القواميس فليس بوسعهم الاطلاع على المعاني الجديدة التي اجتسبتها هذه المجموعة من المفردات العربية ، وهذا هو السبب أن تعابيرهم العربية تنقصها الحداثة ، والأسلوب البياني الجديد بفعل تأثير الأردنية إلا من هم اطلاع واسع على القواميس الثنائية للغة الحديثة .

د- مجموعة المفردات التي انحصرت على مدلولها الاصطلاحي القديم :

هناك طائفة من المفردات الأردنية المقتبسة من العربية التي ظلت محتفظة ومقيدة بمدلولها الاصطلاحي القديم رغم انها تستعمل في العربية للدلالة على معان أخرى مثل :

الكلمة	مدلولها الاصطلاحي	مدلولها العام
استفتاء	طلب فتوى (مصطلح فقهي)	معرفة الرأي
مراقبة	رياضة من رياضات قلبية (مصطلح تصوف)	إشراف/ارصد/تفتيش
مصدر	المشتق منه (مصطلح علم الصرف)	مكان الصدور/مرجع
مخرج	عضو من أعضاء النطق (مصطلح علم التجويد)	مكان الخروج/منفذ
حديث	أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وإقراراته	كلام/خطبة/مقابلة/جديد
رواية	نقل الحديث بسند	القصة الطويلة (NOVEL)
مادة	جوهر (مصطلح الفيزياء)	سلعة/بند (ARTICLE) مكون
سيارة	كوكب سيار (علم الفلك)	عربة آلية سريعة السير

وقد دخلت هذه المجموعة من المفردات في الأردنية من مختلف العلوم للدلالة على المعاني الاصطلاحية لتلك العلوم والفنون ، فلم تتجاوزها ولم تتغير حتى الآن ، فلا يفهم الناطقون بالأردنية أو المتأثرون بها من تلك المفردات إلا هذه المعاني الاصطلاحية ، وهذا هو السبب أنهم لا يقدرّون على استخدام مثل هذه المفردات في العربية خارجة عن نطاق مدلولاتها الاصطلاحية المعروفة عندهم .

هـ- مجموعة المفردات التي أصبحت غريبة أو متروكة الاستعمال في العربية المعاصرة : في اللغة الأردنية نجد عدداً لا بأس به من المفردات العربية التي

أصبحت إما غريبة أو متروكة الاستعمال في التعابير العربية المعاصرة ، وحلت محلها مفردات أو مصطلحات جديدة ، وقد أشار إلى هذه النقطة اللغويون العرب المعاصرون ، حيث يقول واحد منهم : "وقد دثر من اللغة (العربية) كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة .. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء" (١٦) ، غير أن مثل هذه المفردات الأردنية المستعارة من العربية لا تزال تحتل مكانها في عالم الاستعمال والتداول ، انظروا إلى الجدول التالي يتضح لكم الأمر :

الكلمات	المعاني	الملاحظات
إنعام	جائزة	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
خط	رسالة/مكتوب	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
إجازة	إذن	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
مسألة	مشكلة	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
ذرائع	وسائل/وسائط	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
اتفاقاً	بصدفة	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
نقصان	خسارة	قليلة الاستعمال بهذا المعنى
جناب	محترم (١٧)	متروكة الاستعمال بهذا المعنى
رسالة	كتاب صغير/كتيب	قليلة الاستعمال بهذا المعنى

وحيث إن الناطقين بالأردنية أو المتأثرين بها من طلاب المدارس الإسلامية لا يعرفون هذه الحقيقة لبعدهم عن بلاد العرب وعدم اطلاعهم على التعابير المعاصرة ، وارتباطهم بالتعابير القديمة عن طريق كتب القدماء من المحدثين والمفسرين والأدباء والفقهاء ، فليس من الغريب أن تأتي تعابيرهم مشحونة بمثل هذه الألفاظ أو الألقاب الغريبة الاستعمال أو المتروكة ، انظروا إلى

(٢) انظر جدول رموز الأصوات اللينة والساكنة في القاموس : (STANDARD TWENTIETH CENTURY DICTIONARY) أردو-إنجليزي - للبروفيسور بشير أحمد القرشي ، و قاموس :

(URDU-HINDI DICTIONARY) طبع تحت رعاية أنجمن ترقى أردو سنة ١٩٨٢ م .

(٣) فقه اللغة - للدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين ، ط/١٩٨١ م .

(٤) انظر الأدب المقارن - للدكتور طه ندا ، وفقه اللغة - للدكتور علي عبد الواحد وافي .

(٥) في علم اللغة العام - للدكتور عبد الصبور شاهين .

(٦-٧) فقه اللغة - للدكتور وافي .

(٨) انظر : علم الدلالة - للدكتور أحمد مختار عمر ، لمعرفة أنواع المعنى المختلفة، ط/١٩٨٨ م .

(٩) انظر : الأدب المقارن - للدكتور طه ندا .

(١٠) معالم اللهجات العربية - للدكتور أبو سكين .

(١١) المعجم الوسيط ، المورد : عربي-إنجليزي - للدكتور روجي البعلبكي .

(١٢) القاموس الجديد : أردو-عربي - لوحيد الزمان الكيرانوي :

STANDARD TWENTIETH CENTURY DICTIONARY : URDU-ENGLISH,  
BY BASHEER AHMAD QURASHI

(١٣) "DIVERSITY OF MEANING" لعالم اللغة الإنجليزي كوهين - نقلاً عن علم

الدلالة - للدكتور أحمد مختار عمر .

(١٤) "SENSE AND SENSE DEVELOPMENT" نقلاً عن المرجع نفسه .

(١٥) دلالة الألفاظ - للدكتور إبراهيم أنيس .

(١٦) اللغة العربية كائن حي - لجرحي زيدان .

(١٧) معجم اللغة العربية المعاصرة - لهانز فير .

الرسالة التالية التي كتبها مدير مدرسة إسلامية إلى مدير إحدى الهيئات الإسلامية الخيرية العاملة في بنغلاديش :

إلى أهل العز والوقار وصاحب المنجد و الفخار أفضل الأحيان وفائق  
الاقران إمام أهل السنة رئيس خدام الإسلام والمسلمين أدام الله بقاءهم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اتقدم إلى مقامكم السامي بأكمل التحية وسلام وبعد ، فيا أيها الشيخ  
المعظم ! إنني سمعت أنكم تخدمون الإسلام والمسلمين بتعليم أطفال المسلمين  
 وإهداء تفسير معارف القرآن وغيره من الكتب المحققة الذي يتغذى بقرائنها  
 العلماء وتقر برؤيتها العيون ، وتستريح بمطالعتها الأرواح وتنكشف بتفكيرها  
 الدماغ ويزداد بتكرارها العلم .

وها أنا مقيم في المدرسة الغنية الإسلامية في ... ليس في هذه الإدارة من  
 الكتب الثمينة ولا نستطيع الشراء لضعف الحالة ، والأساتذة محروم عن  
 غذائهم مع اشتياقهم إلى المطالعة ، فلهذا بسطت يد المسألة إلى تفضلكم  
 وكرمكم لكتبكم ، فأرجو نظر عنايتكم هذه الإدارة بإعطاء كتبكم المذكورة ،  
 أطل الله بقاءكم هذه الخدمة المقبولة فقط :

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الراجي

(رئيس هذه الإدارة)

[يتبع]

الهوامش :

(١) الأصوات اللغوية - للدكتور إبراهيم أنيس ، ط/١٩٨٤ م .

رجل فقدناه :

شيخ المحققين

من علماء الإسلام

محمود محمد شاكر

بقلم : الأستاذ محمد ثابت توفيق - القاهرة

في نهاية الأسبوع الأول من  
أغسطس من العام الحالي ، وفي هدوء

العظماء الذين ترفعوا عن الحياة الدنيا وزخرفها ، وعن الشهرة وبريقها  
الزائف ، رحل شيخ محقق التراث العربي الإسلامي الشيخ محمود شاكر عن  
عمر يقارب ٨٨ عاماً ، وبذلك تنتهي حالة العزلة الشديدة التي فرضها الشيخ  
حول نفسه ، بعيداً عن واقع الحياة الثقافية الذي لا يرضاه ، وإن كان قد  
عاش عمره في مقاومة فكر التغريبيين ، أو الذين يحاولون تشويه مجتمعاتنا من  
داخلها ، بفرض واقع الحياة الغربي عليها ، على أنه النموذج الأفضل للحياة ،  
والبديل لما تحياه من قصور عن مواكبة الآخر ، فلقد قال في حديث له نشر  
قبل وفاته : "إن الذي رأيت في شبابي أفضل مما أنا فيه الآن ، لأن الأمور  
الثقافية في نزول لا في صعود" .

ولد الشيخ محمود محمد شاكر في الإسكندرية عام ١٩٠٩م لأب كان  
يعمل في خدمة الدين الإسلامي ، لذلك لم يلبث أن انتقل بأسرته إلى القاهرة ،  
ليتسلم عمله كوكيل للجامع الأزهر ، وبعد أن تلقى تعليمه الأساسي ، انتقل  
الشيخ محمود إلى الجامعة المصرية عام ١٩٢٦م ، وكان يبلغ من العمر ساعتها  
١٧ عاماً ، فالتحق بكلية الآداب .

و على الرغم من أنه كان يمتاز بالهدوء الشديد ، و الاتزان ، إلا أن أولى

أمان

الشاعر الإسلامي : حيدر العديري

أغـالب في قلبي المـوجع  
و نار الضراعة في الأضلع  
بدر بـطويل الخطا مترع  
بصحراء آثامي المرتع  
و أثقاله للردى المفجع  
أهاويل في دربه البلقع  
تؤز خطاه إلى المـصرع

\*\*

وقد فرخ الهـم في مربعي  
يزلزل في عسفه مضجعي  
وألقي الهواجس في مشرعي  
و أرسل من رزئه أدمعي

\*\*

إلى أيكـة السجد الركع  
و وهم صحيح و وهم دعي  
و قد عوت الريح في مطلعـي  
أعاد الأمان إلى أضلعي

\*\*

نأيت و قد حرت عن مضجعي  
عصي الدموع على الوجنتين  
فقد عشت دهرأ أسير المنى  
كأنني و قد سرت لا أرعوي  
أسير يساق بأوزاره  
يساق و للصمت عبر الطريق  
لقد عاش رهن الذنوب الثقال

\*\*

إلهي أتيتك نضو الأسي  
و ذني ثقيل كصم الصفا  
أطال الهدوء و أضنى الخطا  
و أسهر عيني فلات المنام

\*\*

إلهي أتيت كليل الجناح  
مخاوف كالموت تجتالني  
و زادي فقير من الصالحات  
و لكن فيك كريم الرجاء

\*\*

معاركه الفكرية بدأت في ذلك الوقت بعد استماعه إلى د/طه حسين - أحد المفتونين بنظام الحياة الغربي - ينكر أصلاً من أصول الثقافة العربية ، ويقول عن الشعر العربي الجاهلي وهو رافد من روافد معرفة معاني كلمات القرآن الكريم إنه : "موضوع منحول كله أو جله ، أو الكثير منه على الأقل" .

وعلى الرغم من صغر سن الشيخ ، وهو الطالب الذي يتدرج في كلية الآداب - لا يزال وقتئذٍ - إلا إنه وجد في نفسه الجرأة كي يعترض على أستاذه ، ويعلن رفضه لما يقوله ، بل ويرفع صوته كاشفاً رغبة مجموعة من الكتاب والمبدعين والمفكرين النيل من تاريخنا وتراثنا الإسلامي لصالح الغرب ، لا رغبة في تقدمنا كما يدعون ، بل كي نظل إلى الأبد أتباعاً له .

معركته مع طه حسين : وكان من نتيجة هذه المعارضة القوية أن تصدى أتباع طه حسين في ذلك الوقت - منذ بداية الثلاثينيات وحتى الأربعينيات - زيادة على سلطة طه حسين نفسه ، لجعل المجال أمامه ضيقاً ، إن كان يرى العمل في الصحافة أو التعبير عما في نفسه من أفكار تفضح ما يُضمرونه ، إلا أن الله خيب عمل طه حسين وأمثاله . الذين كانوا يشكلون مؤسسة ذات نفوذ وسلطات ، تقرب من ينافقهم ، وتقصي من يتصدى لهم - والتعبير للكاتب شكري عياد .

فإن كان هؤلاء يحاولون هدم الإسلام وكياننا الحضاري عن طريق التشكيك في أصول اللغة العربية ، فلقد اهتم الشيخ منذ البداية بهذه اللغة العظيمة ، وإن حاولوا إخراجها من الحياة الثقافية ، فإن مقالاته في مجلة "الرسالة" كانت كافية لإفشال سعيهم ، وهي المجلة العملاقة التي كان يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات ، ويكتب فيها مصطفى صادق الرافعي ، ومحمود أحمد جلال وغيرهم من المتمسكين براية الدين والعقيدة ، و كانت مقالات

الشيخ تحت عنوان : "نمط صعب" .

وقد قال عنها الراحل الروائي يحيى حقي : إنه يعتبر نفسه حينما يقرأها تلميذاً في مدرسة الأستاذ محمود شاكر ، بل كان ينصح رواد صالونه الأدبي بأن يقرؤوها ، كي يكتشفوا شكلاً جديداً غير مسبوق من أشكال الكتابة باللغة العربية ، وهي شهادة صدق في حق الرجل من روائي كان ملء السمع والبصر في ذلك الوقت ، عليها عوضته بعضاً مما كان يلقاه من تعنت .

وعلى الرغم من هذا التاريخ الحافل بالنضال منذ صغر سن الشيخ ، إلا أنه كان يقول عن الفترة من ١٩٢٦ م ، وحتى ١٩٣٦ م وهي ما بين بلوغه السابعة عشرة والسابعة والعشرين من عمره : قضيت عشر سنوات من حياتي في حيرة زائفة ، وضلالة مضيعة ، وشكوك ممزقة ، حتى خفت على نفسي الهلاك ، وأن أخسر دنياي وآخرتي ، محتقياً - حاملاً - إثماً يقذف بي في عذاب الله بما جنيت ، فكان كل همي يومئذ أن التمس بصيصاً اهتدي به إلى مخرج ينجيني من قبر هذه الظلمات المطبقة علي من كل جانب .

منذ كنت في السابعة عشرة من عمري عام ١٩٢٦ م ، إلى أن بلغت السابعة والعشرين عام ١٩٣٦ م ، كنت منغمساً في غمار حياة أدبية بدأت أحس إحساساً مبهماً متصاعداً بأنها حياة فاسدة من كل جانب .

والفقرة الأولى من حديث الذات هذا ، توضح إلى أي حد كان الأديب الشيخ حريصاً منذ البداية على رضا ربه ، وبلوغ الجنة ، وذلك بعدم الصمت على ما يجري داخل الساحة التي يستطيع الدفاع فيها عن دينه ، الساحة الثقافية .

واتجه الشيخ إلى المملكة العربية السعودية لينشئ مدرسة جدة الابتدائية ، ويفرس المبادئ العظيمة في أذهان الصغار ، ويترجم هذه الأفكار العملاقة بما

يراه مناسباً لواقع حياتهم ، دون أن ينشغل عن مشروعه الفكري الذي يحدثنا عنه فيقول : "لم أجد لنفسي خلاصاً إلا أن أرفض - متخوفاً حذراً شيئاً فشيئاً - أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية التي كانت يومئذ تطفئ كالسيل الجارف يهدم السدود ، ويُقرض كل قائم في نفسي ، وفي فطرتي ، ويومئذ طويت كل نفسي على عزيمة ماضية ، أن أبدأ وحيداً متفرداً رحلة طويلة جداً ، وبعيدة جداً ، وشاقة جداً ، بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله ، أو ما وقع تحت يدي منه على الأصح ، واكتسبت بعض القدرات بلغة الشعر ، وبفن الشعر ، ثم تدرجت وقرأت ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا من تفسير لكتاب الله ، إلى علوم القرآن مع اختلافها ، إلى دواوين حديث رسول الله ﷺ وشروحها ، إلى ما تفرع عليها من كتب علماء الحديث ، وكتب الرجال والجرح والتعديل ، إلى كتب أصول الفقه وأصول الدين ، وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم .

لقد بدأت معالم المنهج تتحدد في ذهن الشيخ ، وأخذ يسعى عملياً لتحقيقها بارتباط وثيق بالمناهل التي يريد التغريبيون - أعداء ديننا - إبعادنا عنها "الشعر العربي القديم" ، و "الحديث الشريف" من قبله ، ومن قبلهما "القرآن الكريم" والعلوم المتصلة به وبالحديث ، وأنتج الشيخ كتابه العظيم "المتنبى" في ٦٠٠/صفحة على جزئين ، أو سفرين كما يحلو له أن يقول .

و شاء الله أن يعود الطائر المهاجر إلى وطنه ، و وقف "طه حسين" بنفسه منادياً في مجمع اللغة العربية ، بأن يكون الشيخ أحد أعضائه ، وذلك بعد عشرين عاماً تقريباً من الخصومة بينهما ، ولعل في دعوته هذه اعتذاراً عن موقفه الشديد منه .

وما كاد يستريح حتى كانت المعركة الجديدة ، معركة جذرية ما بين

منهجين وأسلوبين وأيديولوجيتين ، كان الشيخ يمتلك فيها - عن اقتدار - كل السلاح الذي يلزم للرد على داعية جديد ، ودعي آخر هو "لويس عوض" في أول الستينيات ، عندما هاجم الثقافة العربية الإسلامية ، مخرجاً آخر ما لديه من طاقات وقدرات كي يسير في الدرب الذي بدأه من قبله طه حسين وغيره ، وهو النصراني يدافع عن عقيدة شبه دينية تقول : إن الصفحات الرائعة من التراث العربي يرجع الفضل فيها لليونانيين ، واللاتينيين ، ثم راح يشكك في شعر المعري ، وجذوره الثقافية .

واشتعلت المعركة ، واستخدم فيها الشيخ قدراته التي يتقنها من مناهج البحث والدراسة الحديثة ، تعامل الذي يتقنها ويتعامل معها ، تعامل الند الذي يؤمن بأن هذه المناهج الحديثة امتداد عصري لما أبدعته الحضارة الإسلامية في سنوات ازدهارها ونهضتها ، وجمعت هذه المقالات بعد ذلك ، فكانت إضافة رائعة للأدب العربي ، عبارة عن مجلدين لكتاب واحد اسمه : "أباطيل وأسمار" .

واستمرت جهود الرجل في تحقيق كتب التراث فكان من أشهر ما حققه "تفسير الطبري" وغيره ، حتى كان عام ١٩٦٦ م ، وقد بلغ الشيخ سبعة وخمسين عاماً ، فألقي القبض عليه ، وأودع السجن على اعتبار أنه واحد من جماعة الإخوان المسلمين ، وبعيداً عن عدم كونه كذلك ، إلا أن الذين وضعوه داخل السجن لم ينظروا إليه على أساس من مكانته المتفردة كواحد من دعائم ارتباط الأمة بتراثها .

في الزنزانة : وكان عليه أن يحشر مع مائتين وخمسين في عنبر واحد ، ويشهد الذين كانوا معه في تلك الفترة على أنه كان شديد الاحتمال ، يغالب كبر سنه كي لا يبدي ألمه الشديد ، وكذلك كان سمح الروح ، واسع الصدر مع الذين يعارضون آراءه ومواقفه في هذا المكان ، ولكنه رفض أن يعتذر ليخرج من

السجن ، أبت نفسه العزيزة ذلك ، وفضل الأسر على خروج فيه تأسف منه على شيء لم يرتكبه ، حتى بعد ما ظهر عليه المرض من أثر سوء التغذية .  
ولم يقدر الله لهذه الفترة أن تطول أكثر مما يحتمل الرجل ، فأفرج عنه ، ولم تمض سنوات كثيرة حتى أخذ دوره المناسب من التكريم في حياته ، فانتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في "دمشق" عام ١٩٨٠ م ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٢ م ، وفي منتصف العام التالي فاز بعضوية مجمع اللغة العربية ، أو مجمع الخالدين - كما يطلق عليه - وبذلك يكون عضواً عاملاً فيه ، وفي نهاية نفس العام توجت جهوده ، بأن حصل على جائزة الملك فيصل العالمية ، وكان بذلك المصري الرابع الذي حصل عليها ، وكانت معاركة السابقة معه أثناء حصوله عليها ، إذ أن أنصار طه حسين لم يتركوه حتى بعد وفاة طه حسين ، واعترافه بحق الشيخ ، ولذلك قصة طريفة :

فقد كانت اللجنة التي تمنح الجائزة تضم د/عبد القادر القط أحد تلامذة طه حسين ، الذي رأى أن الكتاب الذي سيحصل على الجائزة "المتنبي" يضم هجومين على طه حسين ، وإشارات إلى الفساد بما يتنافى - كما يرى د/القط - مع فكرة الجائزة نفسها ، ولذلك قرر أن يمنح الجائزة للطبعة الأولى من الكتاب ، لأنها تخلو من المقدمة الطويلة التي تتضمن الهجوم - وكان الشيخ قد أضاف تعديلات للكتاب عام ١٩٧٨ م : "فما كان من الشيخ شاكراً إلا أنه وقف ليعلم بين دهشة الجميع أن الذي حصل على الجائزة شخص آخر غير محمود شاكراً الواقف أمامهم ! لأنه قد كتب مقدمة الكتاب ، أما الذي نال الجائزة فهو آخر لم يكتبها ، وذلك الموقف فيه الإقرار الكافي بأهمية المقدمة ، والثبات على الموقف .

وهو موقف عظيم من رجل قال عن : "القرآن الكريم" و "الحديث النبوي الشريف" و "الشعر العربي" وتأثيرهم في منهجه : "أمدتني .. بخبرات جمة متباينة متشعبة ، أتاحت لي أن أجعل منهجي في "تذوق الكلام" منهجاً شاملاً متشعب الأنحاء و الأطراف ، يزداد مع تطاول الأيام رحابة وسعة ، و حدة و صفاء ، و نفاذاً و دقة ، و شمولاً و استقصاءً" .

إن منهج المقاتل الذي يُشرع سلاحه في وجه كل من يحاول إنكار أصول الثقافة الإسلامية ، والتقليل من شأنها كان جاهزاً في يد محمود شاكر .

ولخص أزمة الثقافة المصرية أنها ليست بمعزل عن انكسار الثقافة العربية بشكل عام ، كطريق خطه الاستعمار لتمزيق الأمة الإسلامية ، وقال عن الكتاب الذين اندسوا بين الناس كأبناء جلدتنا ، محاربين لهويتنا : "إن كتابنا لا يقدمون شيئاً مفيداً لمجتمعهم ، ولا لقضايا مجتمعهم ، ولو كانوا يسرون في طريق صحيح لكان لهم شأن آخر ، صحيح أنهم مجتهدون ولهم مجهوداتهم ، ولكنها ضئيلة وباهتة ، فعندما أنظر إلى الوجود الحقيقي لطله حسين ، أو توفيق الحكيم ، وإحسان عبد القدوس ، أو نجيب محفوظ - أراه وجوداً ليس مفيداً لقضايا مجتمعهم ، أو مشاكل وطننا" .

أما الكتاب الحقيقيون فهم الذين يتطلعون إلى واقع متفرد لمجتمعهم ، يعتمد على تلاقية الدائم مع عناصر تكوين الثقافة الإسلامية ، لا الانصياع والقبول بالثقافة الغربية التي كان يراها "غازية" تسعى لتدريك المنطقة فكرياً ، ولذلك فقد كان دور الكتاب المنكرين لدور الإسلام خطيراً ، إذ أنهم - حسب تعبير الشيخ - : "ليس لدينا مثقفون ، ولكننا مقلدون للغرب" .

وهكذا عاش الرجل يتمتع بمكانة لا يراها لمنافسيه ممن يسرون في الطريق الخطأ ، وعلى الرغم من تجاهل بعض أجهزة الإعلام له ، فقد كان يرى نفسه يسير في الطريق الصحيح ، وهكذا اختار العزلة ، والعكوف على القراءة ، والكتابة حتى أخرج لنا ٢٥٠/مقالة موزعة بين الدوريات زيادة على كتبه .

## صورتان متضادتان

الأستاذ وادع رشيد الندي

الوضع في العالم بالنسبة للإسلام

والمسلمين وضع متناقض ، تلاحظ آثار الصحوة في مكان ، والرجعة في مكان آخر ، يبعث الوضع على التفاؤل في مكان ، والتشاؤم في مكان آخر ، فما يبعث على التفاؤل للمسلمين ، فتح مراكز للدعوة في أوروبا وأمريكا ، وكراسي الدراسات الإسلامية في الجامعات الأوروبية ، ومنح حقوق العبادة ، والتعليم والتربية والثقافة الإسلامية في دول غير الدول الإسلامية ، والإقبال على الإسلام ، واعتناقه في الأوساط العلمية ، والقيادية ، وهو من المبشرات لمستقبل الإسلام ، فتفيد التقارير الصحفية بأنه يبدأ العمل قريباً في بناء مركز الملك فهد الإسلامي في العاصمة الأرجنتينية بيونس ايرس ، وكان قد تم وضع حجر الأساس للمركز في التاسع من أغسطس العام الماضي ، ليكون منارة لتعليم المسلمين في هذه المنطقة أمور دينهم .

واضافت الصحيفة التي نشرت هذا التقرير ، تقول : أن الرئيس الأرجنتيني كارلوس منعم خصص ٣٣ / ألف متر مربع كهدية من الحكومة الأرجنتينية ، ويصل ثمنها إلى ٣٠ / مليون دولار نظراً لارتفاع أسعار الأراضي في هذه المنطقة الحيوية الهامة التي توجد فيها مقار السفارات الأجنبية ، وجاء في التقرير : أن متولي الجالية المسلمة ، بلغوا الحكومة الأرجنتينية أن القاعة سيستفيد منها غير المسلمين أيضاً وأنها ستقوم بدورها في شرح الإسلام ، والتعريف به .

وخبير آخر يقول و في نفس الصحيفة : جرى في إطار الاحتفالات بالذكرى ٨٥٠ لتأسيس العاصمة الروسية افتتاح مسجد الشهداء ، في المجمع التذكاري لضحايا الحرب العالمية الثانية الكائن في منطقة بوكلوناياجورا ، ولم يتوقع أحد أن تتحول مراسم الافتتاح إلى حد كبير طغى حتى على الاحتفالات والمسيرات الصاخبة ، في شوارع وميادين موسكو ، فقد تقاطر على منزهه التصرفي المنطقة حشد غفير من المسلمين أبناء العاصمة والجاليات العربية والإسلامية ، وانضم إليهم ، السفراء العرب ، وعدد كبير من وفود الدول الإسلامية من الجمهوريات السوفيتية السابقة والدول الأخرى .

وفي أخبار العالم الإسلامي خبر يفيد من أمريكا : أعلن المجلس القومي للشئون الإسلامية في مدينة نيويورك أنه تم تخصيص يوم ١٩ / ديسمبر ١٩٩٧ م يوماً قومياً لاحتفالات المسلمين في الولايات المتحدة وفي هذه المناسبة سوف تعرض لأول مرة داخل بناية الامباير استريت أكبر وأشهد بنايات مدينة نيويورك ، وآخر ابنية العالم الشهيرة ، سوف تعرض النجمة والهلال ، أحد رموز الهوية الإسلامية وذلك بحجم صغير يرتفع إلى ١٢ / قدماً ويصل في عرض إلى ستة أقدام .

وتفيد نفس الصحيفة في نفس العدد : بأن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء و وزير الدفاع والطيران والمفتش العام السعودي ، افتتح المدرسة الإسلامية التابعة للمركز الثقافي الإسلامي في روما .

وصرح صاحب السمو الملكي بهذه المناسبة : إن إقامة مثل هذه المراكز الثقافية والمدارس الإسلامية ، والمساجد لها أثرها الإيجابي في مجال الدعوة إلى الدين الإسلامي وتعليم أبناء الجاليات المسلمة أمور دينهم ، وكذلك في خدمة

شئون وقضايا هذه الجاليات .

ونبأ آخر يقول : تنتظر الجالية المسلمة في ضاحية مونت لاجولي القريبة من العاصمة الفرنسية باريس افتتاح مسجد الضاحية بتوسعته الحديثة الواسعة في ٢٠/سبتمبر - جمادى الأولى ١٤١٨ هـ ، وقد تم بناء هذا المركز بتبرع خادم الحرمين الشريفين المالي .

جاء في مجلة الخيرية : بعد مئات من السنين ارتفع الأذان ولأول مرة في مضيق جبل طارق ، وقام مسجد خادم الحرمين الشريفين شامخاً تعانق منذنته عنان السماء ومذكرة المسلمين بالعهود المضيئة لحضارتهم الزاهرة .

وفي قلب الولايات المتحدة الأمريكية تم الانتهاء من مشروع مسجد خادم الحرمين الشريفين وملحقاته في مدينة لوس انجلوس .

ومن حسن الطالع أن تم الانتهاء من هذين المسجدين في وقت تم فيه وضع حجر الأساس لمركز خادم الحرمين الشريفين في مدينة ملقا الاسبانية ليكون منارة للعلم والمعرفة . [جمادى الأولى ١٤١٨ هـ] .

وبالإضافة إلى افتتاح هذه المراكز تحمل الصحف بصورة عامة انباء اعتناق الشخصيات المعروفة في العلم ، والفن والسياسة والخدمات الإنسانية ، الإسلام ، ومما يبعث على الاستغراب ، أن عدداً كبيراً من هؤلاء المعتنقين للإسلام هم من المثقفات ، والمثقفين ، وقبل أسابيع نشرت صحيفة الخيرية : مقابلة مع حفيد جورج واشنطن الذي أسلم وأبدى رد فعله العنيف لموقف أوروبا ، والنصرانية والسلوك غير الإنساني ، للإسلام والمسلمين ، ويشاهد هذا الإقبال على الإسلام في ألمانيا ، وفرنسا ، وأمريكا ، بصورة عامة ، وأحدث خبر في هذا الصدد ، ما نشرته صحيفة المسلمون ، عن إسلام مدير الـ "بي.بي.سي." ، فتقول الصحيفة : "اعتنق الابن الوحيد لجوناتان بيرت ،

المدير العام لتلفزيون الـ "بي.بي.سي." الإسلام وتزوج من فتاة مسلمة" .

وفضل بيرت جوناتان بيرت ٢٩/عاماً الذي غير اسمه إلى يحيى ، التخلي عن مظاهر حياة المجتمع المخملي للعمل في مكتبة صغيرة لبيع الكتب الإسلامية جنوب لندن ، حيث يقوم بحاسبة الزبائن ومحدثهم عما يعرفه عن الإسلام ، والتقاليد الإسلامية .

ومما يبعث على الاستعجاب ، أن والد يحيى الذي يدير شبكة التلفزيون البريطاني ، التي يشاهدها الملايين من الناس في أنحاء العالم ، ويتلقى راتباً سنوياً مقداره ٣٥٤/ألف جنيه ، فخور بابنه وبطريقة الحياة التي اختارها لنفسه ، وقال المقربون منه : أنه بدأ شديد الفرح في حفل زفاف ابنه من فوزية بورا ، وهي بريطانية مسلمة من أصل هندي تعمل صحافية وتدرس التاريخ في جامعة أوكسفورد .

ويشار إلى أن يحيى : امضى شهر العسل في سوريا والأردن والقدس حيث زار المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمؤسسات الإسلامية في المدينة ، وأبدى تعاطفه مع مأساة الشعب الفلسطيني" .

ويتصاعد هذا الإقبال على الإسلام وتزول الحواجز النفسية بين المسلمين وغير المسلمين ، ويلعب الكتاب الإسلامي دوره في هذا التوجه إلى الإسلام ، كما تلعب الشخصيات الإسلامية العاملة في الدول الأوروبية دورها في التقريب بين الأديان ، وتنمية الشعور بالتفاهم ، رغم حملة الكراهية للإسلام والمسلمين التي تشنها بعض الدول الأوروبية ، وقادتها و وراء هذه الحملة إسرائيل ، والموساد ، خوفاً على وجودها ، وبقائها ، ولكن العقل السليم والحكمة تتغلب في الأوساط الحاكمة للإسلام ، ويكسب الإسلام نفوساً جديدة .

وقد كانت بيانات وتصريحات الأمير تشارلس تدهش المراقبين على التقدم الإسلامي في أوروبا ، فإنه في خطابه في أو كسفورد أبدى اعترافه وتقديره لدور الإسلام في الحضارة الإنسانية ، ويواصل رسالته ، ولذلك يحاول الإعلام الغربي ، تشويه سمعته ، وتفيد التقارير الصحفية بامتداد جذور الدعوة إلى الإسلام إلى قصور بعض كبار القادة في أوروبا ، والجامعات الأوروبية .

وفي الأخير ليس في الآخر يضاف إلى هؤلاء المقبلين على الإسلام اسم الأميرة ديانا ، التي هزت العالم والإعلام بموتها المفاجئ ، واختفى وراء هذه الضجة ، والضجيج ، اتجاهها إلى الإسلام ، وقد نشرت صحيفة لاموند الفرنسية كما نقلته صحيفة "الدعوة" الصادرة من دهي الجديدة ، أنها أبدت تعاطفها مع الإسلام والمسلمين ، وأنها اعترفت في بيانها أنها مائلة إلى الإسلام ، وتحب أن تقضى فترة من حياتها في الجو الهادئ في مجتمع إسلامي في بلد إسلامي ، وأغفل الإعلام الغربي هذا البيان ، وما اشتمل عليه من نقد للحضارة الغربية ، والأسرة الملكية البريطانية ، وقد أوضحت الأميرة بأن المرأة تنال مكانة احترام وصيانة في الإسلام .

وقد نشرت مجلة "اكنومست" في أحد أعدادها الأخيرة تقريراً عن تطبيق الشريعة في الشيشان وأن بعض القوانين الشرعية قد نفذت فعلاً ، وعلقت في عدد سابق على العقوبات الإسلامية في الإمارات ودورها في تخفيض نسبة الجرائم .

هذه هي لقطات من انتشار الإسلام ، والإقبال عليه ، وانفتاح مراكز الدعوة ، والتعليم في المجتمعات الغربية ، مما يبشر بخير ، ويبعث على التفاؤل بمستقبل الإسلام في أوروبا وأمريكا ، و لكن الأخبار الواردة من البلدان الإسلامية في الجهة الثانية تبعث على اليأس ، و نذكر على سبيل المثال

ما نشرته إحدى الصحف الإسلامية عن تركيا .

بعد قرار المجلس الأعلى للجامعات ابطال الاعتراف بشهادات الجامعات الإسلامية بمفعول رجعي ، أصدر وزير التربية الوطنية التركي حكمت أولوغ بار قراراً بفصل مائة وخمسة وثلاثين من المدرسين العاملين في مختلف المدارس التركية لأنهم تخرجوا من جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى .

وأغرب وأبعد من ذلك ، خبر يفيد بأن مجلس جامعة فوجه ايلسى التركية طالب بإعادة الأذان باللغة التركية ، وتعليم الدين باللغة التركية .

وفي قرار آخر : فرض الحظر على الطالبات لبس الحجاب ، ويضاف إلى ذلك ما يجري في الجزائر ودول إسلامية أخرى من إجراءات تعسفية لقمع الدعوة الإسلامية ، واقفال المساجد ، والمدارس الدينية ، وهو اتجاه معكوس ، مخيب للآمال ، وقد قال المتنبي :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم

و يسعد الله أقواماً بأقوام

### أخبار علمية وثقافية :

### إصدارات جديدة :

### حياة الإمام البخاري

صدر جديداً هذا الكتاب بقلم فضيلة الشيخ الأستاذ السيد سلمان الحسيني الندوي ، يبتدى من موجز تاريخ بخارى ، ابتداءً من غزو المسلمين إلى عصر الإمام البخاري رحمه الله ، ثم حياة الإمام البخاري ومكانته العالية في التحديث ، وبيان ميزاته وخصائصه العلمية والحديثية والفقهية ، وحكايات عن اهتمامه بحفظ الأحاديث وجمعها وتدوينها في كتابه الصحيح .

قد جمع المؤلف في هذا الكتاب معلومات قيمة عن حياته الحافلة بهذه

المآثر العظيمة التي تبوأ من أجلها مكانة الصدارة في علم الحديث والرجال،

يقول المؤلف الكريم :

"حاولت أن أجمع فيه معلومات مركزية هي مبنوثة في كتب الرجال والسير والتراجم ، عن الإمام الجليل ، وأحببت أن أطبعه ليشارك في الاستفادة منه قراؤه أيضاً" ، يتولى الله جزاءً طيباً للمؤلف الكريم على هذا العمل الوجيه البناء .

### وجه جديد للسلفية

وصل إلينا هذا الكتاب من تأليف الأستاذ الفاضل الشيخ بدر الحسن القاسمي ، وهذا الكتاب في الواقع تعليق عابر وسريع على كتاب (الديوبندية) وهو يكشف القناع عن وجه السلفية بمفهومها المعلوم في شبه القارة الهندية ، ويتناولها بالتحليل التاريخي والعلمي ، ويبين بعض الزلات والتجاوزات التي وقع فيها مؤلف كتاب الديوبندية ، ونرجو أن يكون هذا الكتاب ذريعة لتبيين المفاهيم ، وتقريب الصفوف ، وتوحيد الأمة الإسلامية على كلمة الإسلام الواحدة ، ويكون سبباً للاعتراف بالخطأ وتصحيح المسيرة ، وتوجيه العناية إلى جهات أعداء الإسلام الذين يتحرقون حقداً وحسداً على الأمة الإسلامية ذات القيادة العالمية الخالدة . والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ..

\*\* \*\*

### القرآن ! وأهل الكتاب والمسلمون

تلقينا هذا الكتاب كهدية من الأخ الفاضل الدكتور رضي الإسلام الندوي ، عضو إدارة التحقيق والتصنيف الإسلامي عليكره (الهند) . والكتاب يتحدث عن موضوعه في ضوء كتاب الله تعالى وعن حياة أهل الكتاب وأحوالهم التي تحمل عبرة وعظة للمسلمين .

وهو يحتوي على أربعة أبواب :

١ . الباب الأول : يشمل الحديث عن بني إسرائيل وما أفاء الله عليهم من الفضل والنعمة ، ثم انحرافهم عن الجادة وجحودهم النعمة واستحقاقهم عقاب الله تعالى .

٢ . الباب الثاني : يحتوي على تاريخ النصارى والقرآن ، وأفاعيلهم وما قاموا به من تحريفات في دين المسيح .

٣ . الباب الثالث : يتضمن صفات أهل الكتاب الصالحين .

٤ . الباب الرابع : يشتمل على بيان أهل الكتاب والمسلمين بتفصيل جيد ، والكتاب له قيمة موضوعية كبيرة يستحق المؤلف على عمله هذا التقدير والثناء من الأوساط الإسلامية العلمية والفكرية .

ونحن إذ نهنته على مجهوداته العلمية الجليلة ، والأعمال الدعوية التي يعكف عليها في صمت وهدوء ، نتمنى على الله تعالى أن يوفقه إلى المزيد الجديد من كل فن ، والله ولي التوفيق .

### ندوة علمية حول أدب الصحوة الإسلامية

#### في مدينة بننه بهار (الهند)

عقد مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في شبه القارة الهندية ، والبلدان الشرقية ، ندوتها العلمية السنوية العامة (الرابعة عشرة) حول موضوع أدب الصحوة الإسلامية في مدينة بننه عاصمة ولاية بهار (الهند) ، بتعاون من هيئة شمس الهدى التعليمية ، وذلك في الفترة ما بين غرة جمادى الآخرة و ٣/جمادى الثانية ١٤١٨ هـ - الموافق ٣-٥/ من شهر أكتوبر ١٩٩٧ م، وقد رأس الندوة رئيس الرابطة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، وافتتحها بكلمته الفياضة الضافية حول موضوع أدب الصحوة الإسلامية ، وكان لها تأثير بالغ في نفوس المستمعين

والحضور ، كما أن نائب رئيس الرابطة ، ورئيس المكتب الرئيسي لشبه القارة الهندية ، سعادة الشيخ محمد الرابع الندوي قدم تقريره القيم المتضمن أعمال وإنجازات الرابطة خلال عام مضى ، وأشار إلى بعض الجوانب المهمة لبرامج الرابطة التي طالما تكون خافية على الناس .

وقد حضر الندوة عدد وجيه من العلماء والأدباء ، والدعاة ، وأساتذة الجامعات الكبرى والمدارس الإسلامية ، والمسؤولين عن المراكز العلمية والثقافية في الهند ، وشارك أعضاء الرابطة بوجه خاص في برامج الندوة وقدموا في الجلسات بحوثاً ذات قيمة علمية وتاريخية حول الموضوع ، وكان لأساتذة كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء إسهام خاص في مداورات الندوة بالبحوث العلمية ، واهتمام بتنظيم الإدارة ، كما أن عدداً من طلاب ندوة العلماء ساهموا في الندوة بالتعاون مع المسؤولين ، والاهتمام بتوفير الراحة للضيوف .

وقد انتهت الندوة ظهر يوم الأحد ٥/أكتوبر ١٩٧٧ م ، وعقد احتفال عام لرسالة الإنسانية التي أنشأها سماحة العلامة الندوي ويتولاها منذ عقود من السنين لإيجاد الانسجام العاطفي بين المسلمين والمواطنين في هذه البلاد ، وتذكير مسئولياتهم نحو بناء الوطن والأخلاق والإنسانية .  
وذلك باهتمام من سعادة الوجيه الفاضل الاخصائي الجراحي الدكتور السيد أحمد عبد الحفي ، أحد وجهاء ولاية بهار ، فجزاه الله خيراً وتقبل منه سعيه مشكوراً .

\*\*\*

### تصحيح لخطأ مطبعي

في العدد الثامن للمجلد الثاني والأربعين حصل خطأ مطبعي يقرب مفهوم المسألة ، وذلك في مقال بعنوان : "عقوبة الزنا في الإسلام" جاءت فيه عبارة مقلوبة كالآتي :  
"يتضح في ضوء أقوال الرسول وأعماله أن عقوبة مائة جلدة على الزنا لا يعاقب بها إلا زان محصن وعاقل بالغ ، وأما غير المحصن فهو يعاقب بالرجم حتى يموت" .

### والصواب :

"أن عقوبة مائة جلدة على الزنا لا يعاقب بها إلا زان غير محصن ، وأما المحصن فإنه يعاقب بالرجم حتى الموت" .  
نرجو من حضرات القراء الكرام تصحيح هذا الخطأ ، ومعدرة . [التحرير]

إصدارات جديدة :

طبعة جديدة لكتاب :

القادياني و القاديانية

بقلم سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

✽ يتحدث الكتاب عن مؤسس هذه النحلة و حامل لوائها الميرزا غلام أحمد القادياني ، الذي قام بثورة على النبوة المحمدية على صاحبها ألف ألف تحية و سلام .

✽ يكشف القناع عن الصور الزائفة التي تبنتها القاديانية ، و يفضح قناع النبوة الذي تقنع به صاحبها الميرزا برعاية الحكومة الانجليزية الاستعمارية .

✽ يثبت بالبراهين القاطعة و الحجج الدامغة أن لا نبوة بعد خاتم النبيين إلى يوم الدين ، و كل حركة تدعو إلى نبوة بعده ، ليست إلا مؤامرة مكشوفة ضد الدين الاسلامي و رسالة الاسلام .

✽ يطلب الكتاب من المكتبات الاسلامية في العالم و من :  
المجمع الاسلامي العلمي ، ص ب ١١٩ لكهنؤ ( الهند )

قام السيد شاهد حسين بالطبع في مطبعة باريك أوفست لكناؤ  
من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الاعظمي